

مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد
https://jfpsu.journals.ekb.eg/



E-ISSN:2682-3551 P-ISSN: 2356-6493

هوميروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة

د. أحمد مرتاح إبراهيم محمد
مُدرس الفلسفة اليونانية
بكلية الآداب ، جامعة العريش
ahmedmertah92@gmail.com

 10.21608/jfpsu.2024.297463.1359

هوميـروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة

مُستخلص

يتناولُ هذا البحثُ "هوميروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة"؛ إذ يعدُّ هوميروس من أوائل الشعراء والأدباء الذين استخدموا الأساطير لتصوير اعتقاداتهم الخاصة بالحياة الإنسانية كوحدةٍ متكاملةٍ بكلِّ جوانبها المختلفة، وهذا ما يظهرُ في ملحمتيه "الإلياذة والأوديسة"، فهاتان الملحمتان تتناولان عددًا من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس، هذه الاعتقادات تَحمل رؤيةً إنسانيةً عميقةَ الأبعاد، وتُعدُّ خيرَ تمهيدٍ للفلسفة في نشأتها الأولى، وقد قسَّمتُ البحثَ إلى ستة عناصر، الأول: اعتقاد الألوهية عند هوميروس، والثاني: القضاء والقدر، والثالث: الموت والعالم الآخر، والرابع: المرأة، والخامس: انفعال الغضب، والسادس: الصداقة.

وقد توصَّلَ الباحثُ في نهايةِ بحثهِ إلى أنَّ اعتقادات هوميروس التي سلَّم بها في الإلياذة والأوديسة لم تكن اعتقادات خُرافية، بل كانت ظلًا للحقيقة السائدة في المجتمع اليوناني آنذاك، فالأساطير العظيمة التي تحملها الملحمتان السابقتان ليست أوهامًا، بل هو منطوق النفس الإنسانية في ذلك الوقت، وما الأساطير إلا الإدراك الرمزي لتلك الحقائق، كما تُعتبر هذه الاعتقادات خطوات تمهيدية للفكر الفلسفي اليوناني، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ على عددٍ من الفلاسفة اليونان.

الكلمات المفتاحية: هوميروس، اعتقاد، ألوهية، القدر، الغضب.

Homer between Mythological Theological Belief and Philosophy

Dr. Ahmed Mertah Ibrahim Mohamed
Lecturer of Greek Philosophy
Faculty of Arts, Arish University

Abstract

The topic of this study is "**Homer between Mythological Theological Belief and philosophy**", Homer is credited as being among the first poets and authors to employ mythology. His two epics, "The Iliad and the Odyssey", illustrate his conviction in the unity of diverse humanities as an integration in varied facets. These two epics address a variety of Homer's solid beliefs. These ideas, conveying a profound human vision are regarded as the finest introduction to philosophy in its primary stage. This research is divided into six elements: the first element is Homer's belief in Divinity, the second: Fate and Destiny, the third: death and the hereafter, the fourth: women, the fifth: Emotion of anger, and the sixth: friendship.

After conducting extensive investigation, the researcher comes to the conclusion that Homer’s identified ideas in the Iliad and the Odyssey are not superstitious, but rather a reflection of the truth dominant in the Greek society. The great myths in the first two epics are not made up; rather, they represent the human soul at that particular moment, and myths are nothing more than the symbolic manifestation of these truths. These ideas, seen as forerunners of Greek philosophy, greatly impacted several Greek philosopher.

Keywords: Homer , Believe, Divinity, Destiny, Anger.

مقدمـة:

تُعدُّ الأساطير إحدى الأشكال الرمزية التي صوَّرت أفكارَ البشر وأحلامهم في فترة من فترات التاريخ الإنسانيّ قبل أن يتمكنَ الإنسانُ من التوصل إلى المعرفة بشكلها ومعناها الواضح والمباشر، فَمنذُ فجر التاريخ سعى الإنسان إلى فهم الطبيعة والكون، ومعرفة القوى المُهيمنة على الحياة والوجود؛ إذ كانت حياةُ الإنسانِ الأوَّلِ شاقةً وعسيرةً، وكان العالم من حوله يَعجُّ بظواهرَ لا يفهمها، ومشكلاتٍ لا يَقوى على تعليلها، ولكنه كلما ازداد الإنسان على مَرِّ الزمان خبرةً وذكاءً ازدادت رغبته في فهم الطبيعة وتفسيرها؛ فكان من الطبيعي أن ينسج الإنسان الأول القصص حول ظواهر الحياة والكون، فكان الخيالُ رائدَهُ الأول في كشف غموض تلك الأسرار، واعتمد في أسلوبه هذا على لغةٍ خاصةٍ هي لغةُ الأسطورة.

ويعدُّ هوميروس من أوائل الشعراء والأدباء الذين استخدموا الأساطير؛ لتصوير اعتقاداتهم الخاصة بالحياة الإنسانية كوحدة متكاملة بكل جوانبها المختلفة، وهذا ما يظهر في ملحَمَتَيهِ "الإلياذة والأوديسة" فهما – دون شك – من أقدم الأعمال الأدبية التي وصلتنا من التراث الإغريقي، ومن المحتمل أن الإلياذة قد تم تأليفها في النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، وهي تحكي الأيام القليلة من السنة العاشرة للحرب التي دارت رحاها بين الإغريق والطرواديين، أما الأوديسة فقد أَلَّفها هوميروس في فترةٍ متأخرةٍ من حياته، وتناول فيها متاعبَ العودةِ إلى أرض الوطن للبطل أوديسيوس Odysseus.

وتعتبر الملحمتان الهوميريتان "الإلياذة والأوديسة" أُولى الخطوات التمهيدية في الطريق إلى الفلسفة؛ ففي كل قراءة من الملحمتين يكتشف المرء شيئًا جديدًا يدعوه إلى التأمل والتفكر، والتساؤل ماذا يُريد هوميروس أن يقول لمستمعيه، وقُرَّائِهِ ومتلقِّيِيهِ عبر العصور؟ هل هاتان الملحمتان مجرد قصصٍ خرافيةٍ لهوميروس لم يُرِدْ منها شيئًا أو أنها تحملُ مضمونًا فلسفيًّا يتوافق مع رؤى وأفكار وظروف المجتمع الذي نشأت فيه؟ وهي بهذا تُعد مجالًا خصبًا يستثمره الباحثون في إدراك العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

ومن هنا تكمن **أهمية البحث؛** إذ إنَّ الملحمتين بمنزلة الإرث الإنساني، وتَأَسَّسَ عليهما الوعيُ الطفوليُّ، ثم ما لبث أن تطوَّرَ العقلُ فتحولَ نحو التفلسف والتجريب، وحاول فيهما فهمَ الإنسان تجاوز أبعاد الواقع والبحث عن ماهية الكون والوجود الإنساني، وحاول فيها فهم الصراع

بين إرادة الاعتقاد عند الإنسان من جهة ومسئولياته تجاه الكون والحياة من جهةٍ أخرى.

ويتمثلُ **هدفي من هذا البحث** في توضيح بعض من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس التي سلَّم بها في الإلياذة والأوديسة؛ إذ تحمل هذه الاعتقادات رؤيةً إنسانيةً عميقةَ الأبعاد، وتُعدُّ خيرَ تمهيدٍ للفلسفة في نشأتها الأولى؛ فالإلياذة والأوديسة تطرحان قضايا كثيرةً تتعلقُ بموقف الإنسان في الحياة، والكون، وفلسفته، ومبادئه، وكلها تستحق القراءة والتفكير والمناقشة، وسأتوقف عند عدد من هذه الاعتقادات التي تتجلَّى هذه الأبعاد في معظمها.

- **إشكالية البحث:**

تتلخص إشكالية البحث في السؤال الآتي:

ما أهم الاعتقادات عند هوميروس في ملحمتيه " الإلياذة والأوديسة" التي قد تحمل رؤية فلسفية إنسانية؟

ويتفرعُ من هذا السؤال أسئلة عدة:

١- ما أهم اعتقادات هوميروس عن الألوهية؟
٢- ما موقف الفلاسفة النقدي من النزعة الأسطورية الثيولوجية عند هوميروس؟
٣- ما مفهوم القضاء والقدر كما تناولته الإلياذة والأوديسة؟
٤- كيف تصوَّر هوميروس الموتَ والعالمَ الآخرَ؟
٥- ما مفهوم المرأة عند هوميروس؟
٦- ما اعتقادُ هوميروس عن الغضب وانفعالاته؟
٧- كيف تصور هوميروس الصداقة؟

- **منهج البحث:**

أحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال اتباعي لمناهجِ بحثٍ متنوعةٍ أهمها: **المنهج التاريخي** الذي يسمح بتتبع الفكرة وبيان تطورها، **والمنهج التحليلي**؛ لتحليل اعتقادات هوميروس المختلفة من خلال ملحمتيّ الإلياذة والأوديسة؛ وللوقوف على أهم هذه الاعتقادات، كما استخدمت **المنهج المقارن**؛ للمقارنة بين بعض اعتقادات هوميروس ومثيلتها عند فلاسفة اليونان، وكذلك **المنهج النقدي**؛ للوقوف على إيجابيات هذه الاعتقادات وسلبياتها، وموقف بعض الفلاسفة منها.

- **خطة البحث:**

وبناءً على ما تقدَّم قسَّمتُ البحث إلى مقدمة وستة عناصر وخاتمة، وتضمنت المقدمة تعريفًا بموضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وكذلك إشكاليته، والمنهج المستخدم، أما العناصر فهي كالآتي:

أولًا- اعتقاد الألوهية عند هوميروس.

ثانيًا- القضاء والقدر.

ثالثًا- الموت والعالم الآخر.

رابعًا- المرأة.

خامسًا- انفعال الغضب.

سادسًا- الصداقة.

وختمتُ ذلك كله بنتائج البحث العامة، ثم قائمةٍ بالمصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها.

أولًا- اعتقاد الألوهية عند هوميروس:

يُعَدُّ هوميروس من المؤسِّسين للديانة اليونانية القديمة، ويظهر ذلك من خلال ملحمتيه "الإلياذة والأوديسة"، فهما بمنزلة إنجيل اليونان المُقدَّس الذي صوَّر لليونانيين آلهتهم، وتحدَّث عن صفاتهم وأفعالهم، ومن ثمَّ فإن هوميروس يعدُّ بمنزلة الكاهن الأول والمؤسس الحقيقي لعالم الآلهة الأوليمبية[١]، وهو الأمر الذي جعل هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ق.م) يؤكد أن هوميروس هو المُعلِّم اللاهوتي العظيم لدى اليونان[٢]؛ إذ قال هيرودوت:" أنا أعتقد أن هوميروس وهزيود عاشا قبل عصري بأربعمائة سنة لا أكثر، وهما اللذان دَوَّنا لليونانيين أنساب الآلهة وسمياها بألقابها، وتكلما عن مرتبة الشرف لكل منها، واختصاصاتها وفصَّلا أشكالها"[٣].

ولقد اعتقد هوميروس أن جبل الأوليمبوس Olympus هو مستقر الآلهة

---

(١) علي حسين قاسم: جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة "دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين"، بحث منشور في حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، المُجلد الخامس، ج١، ٢٠١٦، صـ٥١.

(2) Clifford H. Moore: The Religious Thought of the Greeks "From Homer to the Triumph of Christianity", Harvard University Press, London, 1916, p. 28.

(٣) هيرودوت: الكتاب الثاني "عن مصر"، ترجمة عن اليونانية د. محمد صقر خفاجة، تقديم: د. أحمد بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧، ف٥٣، صـ١٥٥، صـ١٥٦.

ومسكنهم[٤]؛ إذ شكَّلوا هناك مجتمعًا له قوانينه وتسلسله الهرمي الخاص به، وفي المقدمة تأتي الآلهة الاثنتا عشرة الكبار[٥]، وهم زيوسZeus السيد المُسيطر والقائد الأعلى وأب الآلهة والبشر، ثم هيرا Hera حارسة الزواج، وبوسايدون Poseidon إله البحر، وأفروديت Aphrodite قوة الحب، وأرتميس Artemis ربة الطبيعة البرية، أما أثينا Athena – بالإضافة إلى الخصائص الحربية – ربة الحكمة وراعية الحِرف الفنية، كما أن ديميتر Demeter أصبحت الأرض الأم، وارتبطت بصفة خاصة بحصاد القمح، أما الإله أبوللو Apollo فهو إله الشمس الذي يرسل أشعته؛ فينشر الوباء كالسهام، وأما الإله هيرمس Hermes فهو رسول الآلهة الذي يُرافق الموتى، وهو بصفة عامة المُحتال النشط، وهيفايستوس Hephaestus إله النار والإله الحداد، وآريس Ares إله الحرب، وأخيرًا هيستا Hestia ربة المدفأة والمنزل، وبذلك يكتمل عدد الآلهة ليُصبح اثنى عشر إلهًا[٦].

وإلى جانب هؤلاء اصطفتْ آلهةٌ أخرى، ولكن اعتبرهم هوميروس في منزلةٍ أدنى من منزلة الآلهة في جميع صفاتهم، وتصورهم الإلياذة والأوديسة في صورة أتباع وحاشية للآلهة، أو قائمين بوظائف ثانوية بالنسبة إلى وظائف الآلهة، ومنهم السيكلوب Cyclops[*] المُلازمون للإله هيفايستوس[٧].

ويشير هوميروس أيضًا إلى أن أي شخص يكون مُميزًا عن غيره يُلقَّب بالبطل (Hero)، وكان البطل لديه ابنًا لإنسانٍ فانٍ وإلهٍ خالدٍ، وهو يتفوق بشكلٍ أساسيّ على

(4) New Larousse Encyclopedia of Mythology, introduction by Robert Graves, Translated by Richard Aldington and Delano Ames, Revised by: a panel of editorial advisers from the Larousse my Thologie Generate, Edited by: flexi Guirand, The librairie Larousse Paris, 1st edition, 1987, p. 106.

(٥) ف. جويراند: الآلهة والأساطير اليونانية، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان – الرومان- أوروبا ما قبل المسيحية، ك٣، ترجمة: أسامة منزلجي، نيفين أديب وآخرون، تحرير: فراس السواح، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧، صـ٤٩.

(٦) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، ١٩٩٣، صـ٥٢، صـ٥٣.

(*) مسوخ من جنس الجبابرة، ذو قدرات خارقة بعين واحدة في وسط الجبهة، وهم في الميثولوجيا اليونانية عُمَّال مهرة يصنعون الصواعق وأسلحة الآلهة. انظر: هوميروس: الأوديسة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢١، الأنشودة الأولى، صـ٧٨، في الهامش.

(٧) علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، صـ٢٣.

البشر العاديين(٨)؛ فالبطل كما يظهر في الإلياذة والأوديسة هو كائن بشريٌّ خارق للطبيعة مُتصل بالآلهة(٩)، وأبطال هوميروس في الواقع ليسوا بشرًا عاديين تمامًا، كما أنهم ليسوا من الآلهة، ولكنهم يتحركون في المنطقة الوسطى الواقعة بين الآدمية والألوهية، وهُم يميلون إلى هذا الجانب أحيانًا، ويبتعدون عنه إلى الجانب الآخَر أحيانًا أُخرى، ولا يفقدون صلتهم تمامًا بهذا الجانب أو ذاك(١٠)، ومن أشهر هؤلاء الأبطال في الإلياذة والأوديسة أخيليوس Achilleus، وباتروكلوس Patroclus، وأجاممنون Agamemnon، ومينيلاؤس Menelaus(١١).

وقد أعطى هوميروس لزيوس صورة خاصة بين الآلهة؛ إذ هيمن على مجتمع الآلهة كحاكمٍ مطلقٍ كونه رئيس البانثيونPantheon اليوناني(معبد كل الآلهة)(١٢)، وأبا البشر والآلهة على السواء(١٣)؛ فهو سيد البرق والعواصف وهو الأقوى من بين الجميع، وهو خِصمٌ عنيدٌ لا يستطيع أحد أن يقف في طريقه(١٤).

ويتضح مما سبق أن هوميروس في الإلياذة والأوديسة يؤمن بتعدد الآلهة وعلى رأسهم زيوس، وقد أضفى على هذه الآلهة صفات شخصانية Personalized ومجسمة(١٥) Anthropomorphic؛ فيُمكن للآلهة أن تشارك في المآدب؛ فقد شارك زيوس نفسه في مأدبة مع الأثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه في ذلك كل الآلهة(١٦)، كما يُمكن للآلهة أن تخرج عن شعورها في الحديث؛ فزيوس نفسه قذف بابنه هيفايستوس من عتبة السماء فاندفع في الفراغ يومًا بأكمله وذلك بسبب دفاعه عن والدته الإلهة هيرا في أثناء

(٨) بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج١(أ-ز)، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، صـ١٩، مادة(الأبطال).

(٩) كارم محمود عبد العزيز: أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، صـ٢٥٣.

(١٠)أحمد عتمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًّا وعالميًّا، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، صـ٦٢.

(١١)علي عبد الواحد وافي: : الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي ،صـ٢٤.

(12)Lewis Spence: An introduction to mythology, Moffat yard and Company, New york, 1921, p. 283.

(١٣) هوميروس: الإلياذة، ك١، ترجمة: د. لطفي عبد الوهاب يحيى، تحرير وتقديم ومراجعة: د. أحمد عتمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ف ٥٤٥، صـ١٤١. وانظر أيضًا: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الأولى، صـ٧٥.

(١٤) هوميروس: الإلياذة، ك١، ف ٥٨٠، ف ٥٨٥، ف ٥٩٠، صـ١٤٢.

(15)Lewis Spence: Op. Cit. p. 258.

(١٦) هوميروس: الإلياذة، ك١، ف ٤٢٥، ف ٤٣٠، صـ١٣٦. وانظر أيضًا: المصدر نفسه: ك ١، ف ٦٠٠، صـ ١٤٣.

شجارها مع زوجها زيوس[١٧].

كما يُمكن لآلهة هوميروس أن تتشاحن وتتشاجر من أجل البشر، وهذا ما يصوره هوميروس في الإلياذة، حيث تشاجرت الإلهة هيرا مع زيوس كبير الآلهة بعدما جلس زيوس واستمع إلى مشورة ثيتيس Thetis (والدة أخيليوس) بأن يقف بجوار الطرواديين ويمنحهم القوة ضد الآخيين[*] Achaeans؛ حتى تُعاد سِبيةُ أخيليوس التي أخذها منه أجاممنون، وقالت الإلهة هيرا لزيوس:

" مَن هي مِن بين الآلهة أيها المخادع الكبير، تلك التي كانت تبادلك المشورة الحميمة، إنك تفعل دائمًا ما يروق لك من خلف ظهري، ثم تصدر أحكامك التي فكرت فيها في الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تُطلعني على الأمر الذي تنتويه".

وهنا أجابها زيوس:

" أي هيرا لا تأملي إطلاقًا في أن تعرفي كل ما أُقرره؛ فإن ذلك سوف يُكلفكِ من أمرك عسرًا حتى لو كنت زوجتي، إن ما أجده من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه من قبل أحد من الآلهة أو البشر، ولكني حين أُفكِّر في أن أَقْدِمَ على أمرٍ دون أن أرجع فيه إلى الآلهة، فليس لك أن تسأليني عنه بالمرة"[١٨].

ويعتقد هوميروس أن الآلهة يُمكن أن تُشارك في القتال؛ إذ إنَّ أفروديت (ابنة زيوس) شاركت في القتال بين ألكسندروس (باريس) – شبيه الآلهة وابن برياموس الطروادي وزوج هيلين– وبين مينيلاؤس في المبارزة القائمة بينهما؛ وذلك من أجل الظفر بهيلين وانتهاء الحرب، وعندما سيطر مينيلاؤس على ألكسندروس واستطاع أن يخنقه، وكاد أن يفوز بالمجد، تدخلت أفروديت ومنعت فوز مينيلاؤس بالمبارزة واستعاد

---

[١٧] هوميروس: الإلياذة، ك١، ف ٥٩٥، صـ١٤٣.

[*] الآخيين: اسم اطلقه هوميروس على الإغريق في أشعاره الملحمية، وقد أطلق أيضًا عليهم إلى جانب هذه التسمية، تسميتين أخريين هما: الدانائيون وشعب أرجوس(الأرجيون)، وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاثة بشكلٍ مترادفٍ. انظر: هوميروس: الإلياذة، صـ١١٩، في الهامش. وانظر أيضًا: بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج١(أ-ز)، ص٦٥، مادة (الآخيون).

[١٨] هوميروس: الإلياذة، ك١، ف ٥٤٥، ف ٥٥٠، صـ١٤٠، صـ١٤١.

ألكسندروس هيلين مرة أخرى[١٩]، يقول هوميروس:

"ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت
الانفعالات فيما بينهم في اتجاهات شتى،
اصطدموا مع بعضهم البعض في حلبة مدوية ارتجت
لها الأرض الفسيحة ورددت أصداءها، وتجاوبت السماء
العريضة بطنين مدوٍ كأنهما بوق"[٢٠].

ويلاحظ أن نظرة هوميروس للآلهة مليئة بالتناقضات؛ فبالرغم من أن زيوس هو حارس العدالة، ولكنه مخادع وغادر إذا سنحت له الفرصة المناسبة لذلك، فهو يفعل وفقًا لهواه، كما هو الحال عندما يرسل بناءً على طلب ثيتيس حلمًا وهميًّا إلى أجاممنون لحثه على خوض المعركة على الرغم من أنه لا يُمكن أن ينجح في ذلك[٢١]، كما أن زيوس هو المسئول عن خرق الهدنة بين الطرواديين والآخيين؛ إذ وجه زيوس أثينا بكلمات مجنحة؛ فقال:

" أسرعي إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين، وحاولي أن
تدفعي الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة"[٢٢].

كما صوَّر هوميروس زيوس بأنه مُخادع يخالف وعده؛ إذ وعد أجاممنون بأن النصر حليفه، وعندما طلبت منه ثيتيس أن ينحاز إلى الطرواديين ضد الآخيين؛ لكي يسترد شرف ابنها أخيليوس من أجاممنون، ويعيد إليه سبيته، فوافق زيوس على ذلك[٢٣]، يقول أجاممنون:

"أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجيين وقادتهم،
لقد أوقعني زيوس بن كرونوس- ذلك القاسي- في حرجٍ كبيرٍ،
فقد أعلن موافقته ووعدني بألا أشق طريقي للوطن قبل تحطيم إليون
الحصينة تمامًا، أمَّا الآن فقد خطط لخيانة مُخجلة؛ إذ يأمرني

---

(١٩) هوميروس: الإلياذة، ك٣، ترجمة: د. لطفي عبد الوهاب يحيى، ف ٣٧٠، ف ٣٧٥، صـ٢٠٢.
(٢٠) المصدر نفسه: ك٢، ترجمة د. أحمد عتمان، ف ٣٨٥، ف ٣٩٠، صـ٦٩٣.
(21)Clifford H. Moore: Op. Cit. pp. 19-20.
(٢٢) هوميروس: الإلياذة، ك٤، ترجمة د. أحمد عتمان، ف ٧٠، صـ٢١١.
(٢٣) المصدر نفسه: ك١، ف٥١٠، ف٥٢٥، صـ١٣٩، صـ١٤٠.

أن أعود إلى أرجوس مجللًا بالعار"[٢٤].

وعلاوة على ذلك فإن آلهة هوميروس ليست كُلية العلم ولا كُلية القدرة، فإذا اعتقد هوميروس أن الآلهة تعرف كُل شيء فهذه تحية تقية للشاعر، ولكن السرد يُظهِرُ أن ذلك غير صحيح[٢٥]؛ ففي الكتاب الثالث عشر من الإلياذة كان زيوس يُحدِّق في تراقيا وفشل في ملاحظة أن بوسايدون دخل المعركة من السهل الذي تحته مباشرة[٢٦]، كما اعتقد هوميروس أنَّ الآلهة يمكن أن يُصيبها الخوف[٢٧] والحزن[٢٨]، ويُمكن لها أيضًا أن تُدبِّر الشرور[٢٩].

هكذا كان اعتقاد هوميروس عن الألوهية اعتقادًا طقسيًّا بشريًّا، أضفى على الآلهة صفات مُجسَّمة بشرية؛ فهم يأكلون ويشربون، ويتزوجون، ويحزنون، ويتشاحنون، ويتقاتلون، ويخدعون،...إلخ؛ فهم يقعون في نفس الأخطاء التي يقع فيها البشر، وينزلقون إلى نفس المزالق، وتستهويهم الشهوات والمعارك وغيرها، ويكاد المرء لا يشعر بأية فروق بين البشر والآلهة عند هوميروس.

ورغم اعتقاد هوميروس بأنسنة الآلهة إلا أنه أدرك في الوقت نفسه أن هناك فروقًا بينهم، وأول هذه الفروق أن الآلهة لا تشعر بالشيخوخة ولا يأتيها الموت[٣٠]؛ إذ إنَّ هناك سائلًا عجيبًا يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود[٣١]، كما أن الآلهة كائنات أكبر وأكثر حكمة وقدرة من البشر، ولديهم سيطرة خارقة ولكنها ليست كاملة على الطبيعة والبشر، وإن تفوقهم الرئيس يكمن في هذه القوة والقدرة الفائقة، وفي امتلاكهم الخلود[٣٢]؛ ولذلك يُمكن القول بأن الحدود

---

[٢٤] هوميروس: الإلياذة، ك ٩، ترجمة د. منيرة كروان، ف٢٠، ف ٢٥، صـ٣٣٧.

(25) Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 10.

[٢٦] هوميروس: الإلياذة، ك١٣، ترجمة: د. أحمد عتمان، ف ١٠، ف ٢٥، صـ٤٥٥.

[٢٧] المصدر نفسه: ك١، ف٤١٠، صـ١٣٥.

[٢٨] المصدر نفسه: ك١٢، ترجمة: د. منيرة كروان، ف١٨٠ ، ص ٤٣٩.

[٢٩] هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١١٨.

[٣٠] س.م. بورا: التجربة اليونانية، ترجمة: د. أحمد سلامة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، صـ٧٩.

[٣١] هوميروس: الإلياذة، ك١، ف٤٩٥، صـ١٣٨. وأيضًا: المصدر نفسه: ك٥، ترجمة: د. أحمد عتمان، ف٣٤٥، صـ٢٤٢. وانظر أيضًا: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦، صـ٤.

(32) Clifford H.: Moore: Op. Cit. p.9.

الإلهية والتميُّز البشري يسيران معًا جنبًا إلى جنبٍ[٣٣].

وتظهر الآلهة الهوميرية في الأوديسة بالوظائف والاتجاهات والصفات نفسها التي ظهروا بها في الإلياذة، غير أن هوميروس كان أكثر احترامًا للآلهة في الأوديسة؛ فلا تظهر في الأوديسة تلك المشاحنات العنيفة التي صورتها الإلياذة، فالديانة التي تصورها هوميروس في الأوديسة هي أرقى بكثير من الديانة التي تصورها في الإلياذة رغم اتفاقهما في جوهر العقائد، ولعل هذا يرجع إلى أن المعتقدات اليونانية كان قد نالها شيء من التهذيب في الفترة الفاصلة بين تأليف القصيدتين، وأن المؤلف قد تأثر في كلتيهما بما كان عليه الدين اليوناني في عصر تأليفهما[٣٤].

إذن طرح هوميروس اعتقادًا لتلك الآلهة الذين يعيشون على جبل ويتصرفون كأنهم بشر أَرِستقراطيون عدا أنهم خالدون، واعتقاده هذا عن العالم الإلهي هو في الأصل اعتقاد شرقي؛ ففي بلاد ما بين النهرين يُهيمنُ إله الريح إنليل (مثل زيوس) على عائلته وبلاطه، وأحيانًا ما يُفسد إله الماء "إنكي" (مثل بوسايدون وهيرمس) عليه متعته، كما تُمارِس إلهة الجنس والحرب عشتار حيلها وسلطتها (مثل أفروديت وأثينا) [٣٥]، كما تصوَّر المصريون آلهتهم على الشاكلة البشرية، فَهُم يفرحون، ويتألمون، ولهم غرائزهم وشهواتهم[٣٦]؛ لذا يُمكن القول بأن تصور هوميروس عن الألوهية قريب إلى حد كبير من تصور الشرقيين القدماء لآلهتهم، ولكن مع ذلك ينبغي ألا نُقلل من شأن إعادة التشكيل المبتكرة من قبل هوميروس.

والسؤال هنا هل هذه الصورة التي تصوَّرها هوميروس عن الألوهية من خياله الخاص صادفت قبولًا عند المجتمع اليوناني القديم؟ أو إن هوميروس عبَّر عن المعتقدات

[33] Emily Kearns: The Goods in the Homeric epics, in the Cambridge Companion to Homer, Edited by: Robert Fowler, Cambridge University press, 2006, p. 64.

[٣٤] انظر: علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، صـ٨٦، صـ٨٧. وأيضًا: حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، صـ٦٠.

[٣٥] باري بي باول: هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مراجعة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩، صـ١٠٦.

[٣٦] حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، صـ٩٧. وانظر أيضًا: مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨، صـ٢٦.

اليونانية السائدة آنذاك في صورة قصائد شعرية؟ وفي ذلك يقول توماس كارلايل في كتابه "الأبطال":" إذا أخرج الشاعر قصةً أنيقةً جعلها رمزًا لمعتقدات جيله، أتحسب أنها أقدم عهدًا من تلك المعتقدات! كلا بل كانت العقائد أولًا، ثم أُنشئت القصيدة رمزًا إليها وتمثيلًا لها؛ فالعقيدة أصل والشعر صورة، والعقيدة حقيقة والشعر ظلها[٣٧]، وأتفق مع كارلايل في ذلك؛ إذ إنَّ اعتقاد هوميروس عن الألوهية وتصويره لها بهذه الصورة في الإلياذة والأوديسة هو ظل للحقيقة التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني وصورة لما كان يعتقد أهله[٣٨].

إذن يُمكن القول بأن اعتقاد هوميروس عن الألوهية لم يكن اعتقادًا خرافيًا، بل كان ظلًّا للاعتقاد الطقسي الذي كان سائدًا في بلاد اليونان آنذاك، وما دامت الآلهة قد تشابهت مع البشر في الإلياذة والأوديسة فمن الطبيعي أن يوضح هوميروس الصلة التي تربط بين الآلهة من جهة والمجتمع البشريِّ من جهة أخرى، فما العلاقة بين عالم الآلهة والعالم الأرضي كما تصورها هوميروس؟

- **تقديم القرابين:**

إنَّ الديانة الهوميرية لم تُعوِّل كثيرًا على العلاقات المتبادلة مع الآلهة بقدر ما اعتمدت على الممارسة السليمة للشعائر التقليدية؛ لأن عَلاقة الإنسان بالآلهة في العصر الهوميري لم تكن عَلاقة أخلاقية وإنما علاقة طقسية[٣٩] تعتمد على تقديم القرابين والذبائح للآلهة المقدسة؛ فهي بمنزلة هدايا للآلهة، كما أنها تُشِّكل البرهان الأوضح على الورع والتقوى، وكانت الآلهة تسعد بالجزء المحروق من الأضحية، وهناك حيوانات مُعينة كانت مُقدَّسة عِند هذا الإله أو ذاك؛ فالعِجلة هي حيوان أثينا المُقدَّس، والبقرة لهيرا، والخنزير لديميتر، والثور لزيوس، والحصان لبوسايدون،... إلخ[٤٠].

وتتعدد أشكال هذه القرابين وأغراضها؛ فهناك من يُقدِّم القرابين بقصد التكفير أو التعويض عن سوء أفعاله، أو ربما يفتح طريقًا تتدفق منه القوى الخارقة إليه، وهذا يُدعى

---

(٣٧) توماس كارلايل: الأبطال، ترجمة: د. محمد السباعي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر، صـ٢٠.

(٣٨) انظر: مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، صـ٣١.

(39) Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 21.

(٤٠) جون ريتشارد: الديانة اليونانية، ترجمة: وفاء طقوز، ضمن موسوعة تاريخ الأديان" اليونان- الرومان- أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، صـ٢٥.

بقربان الأسرار[٤١]، ويظهر ذلك في الأنشودة الثالثة من الأوديسة حينما قدَّم أيجيسثوس Aegisthus قربانًا عندما قَتَل أجاممنون وأخذ زوجته؛ إذ أحرق كثيرًا من قطع لحم الأفخاذ على مذابح الآلهة المقدسة، كما علَّق لهم الكثير من مصنوعات النسيج والأشياء الذهبية؛ لقيامه بعمل جريء يفوق كل ما كان يرجوه قلبه بهدف المغفرة والتعويض عن سوء أفعاله[٤٢].

كما يُمكن تقديم القرابين من أجل استرضاء الآلهة واستمالتها، وهذا يُسمى بالقربان الاسترضائي[٤٣]، ويظهر ذلك في الكتاب السادس من الإلياذة في حديث هيكتور Hector –البطل الطروادي– مع والدته؛ إذ قال:

" فلتذهبي أنتِ بالقرابين إلى معبد
أثينا جالبة الغنائم، ولتأخُذي معكِ الزوجات العجائز،
وضعي الرداء الذي ترين أنه الأجمل والأوسع في القاعة
والأعز لديكِ، ضعيه على ركبة أثينا ذات خصلات
الشعر الكثيف والجميل، وأذني لها أن تذبحي في معبدها
اثني عشر عِجلًا لم يلمسها مهماز بعد؛ إذ أشفقت على طروادة
وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس
ذلك المحارب الشرس عن أليون"[٤٤].

كما يرى هوميروس أن الآلهة يمكن أن تغضب نتيجة عدم الوفا بالوعود، أو عدم تقديم القرابين، وهذا ما صوره لنا هوميروس في حديث أخيليوس مع أجاممنون في الكتاب الأول من الإلياذة؛ إذ أخذ يسأل عن سبب غضب الإله أبوللو هل هو نتيجة وعدٍ أخلفناه؟ أو قربانٍ من مائة ثور لم نقدمه؟[٤٥]

وقد يكون تقديم القرابين شكرًا وعرفانًا للآلهة وليس من أجل طلب شيءٍ ما، ويظهر

---

(٤١) فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان" الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط٤، ٢٠١٧، صـ٣٩.
(٤٢) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١٢٣.
(٤٣) فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان" الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، صـ٣٩.
(٤٤) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ترجمة: د. أحمد عتمان، ف٢٧٠، ف٢٧٥، صـ٢٧٤.
(٤٥) المصدر نفسه: ك١، ف٦٥، صـ١٢٢. وانظر أيضًا: المصدر نفسه: ك٢، ف٥، ف١٠، صـ٤٣٣.

ذلك في الأنشودة الثالثة من الأوديسة في حديث نيستور[*] Nestor مع تيليماخوس Telemachus (ابن أوديسيوس) وهو يحكي له عن الحرب؛ إذ قدَّم الآخيين أفخاذ الثيران قرابين للآلهة فوق مذبح بوسايدون تعبيرًا عن شكرهم لوصولهم بالسلامة إلى أرض الوطن؛ واجتيازهم البحر العظيم بأقصى سرعة دون أن يقابلهم أي بلاء[٤٦].

إذن يُمكن القول بأنَّ هناك سلوكًا طقسيًّا لأبطال ومعاصري هوميروس دون شكٍ، وهو السلوك الذي يتمثَّل في تقديم القرابين، وذبح البهائم؛ لإقامة علاقات طيبة مع الآلهة ومن أجل التقرب إليها بسبب طلب ما، أو لاسترضائهم، أو لاستمالتهم، أو للسيطرة على غضبهم، أو لشكرهم، وهكذا تعددت أغراض تقديم القرابين للآلهة، ولكن ما موقف الفلاسفة من اعتقاد هوميروس عن الألوهية؟

- **موقف الفلاسفة من النزعة الأسطورية الثيولوجية عند هوميروس:**

كانت الصورة الإنسانية للآلهة التي رسمها هوميروس سلاحًا ذا حدين؛ فهي من ناحية قد أسهمت في التقليل من قُدسية الآلهة وشيوع الروح اللادينية بين اليونانيين، وهذا ساهم بفاعلية في نشأة الحركة العلمية التي ازدهرت في القرن السادس قبل الميلاد، ومن ناحية أخرى جعلت الفلاسفة ذوي الميول الدينية –التأليهية يوجهون سهام النقد الجارحة لهوميروس[٤٧]، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة إكسينوفانيس Xenophanes(٥٦٠-٤٧٨ ق.م)، وهيراقليطس Heraclitus (٥٣٥-٤٧٠ ق.م)، وسقراط Socrates (٤٧٠-٣٩٩ ق.م)، وأفلاطون Plato (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م).

وقد كتب إكسينوفانيس أهم قصائده في نقد المعتقدات الدينية الشائعة في عصره، وكان هوميروس أول من تلقى هذه الانتقادات[٤٨]؛ إذ رفض إكسينوفانيس تلك الصورة الهزلية التي صوَّرت الآلهة كالبشر الفانين الذين يمارسون كل الشرور، وقد عاب أيضًا على كل من يؤمنون بهذه النزعة الأسطورية الثيولوجية التي تصورها هوميروس[٤٩]، ويقول إكسينوفانيس:" لقد نَسَبَ كل من هوميروس وهزيود إلى الآلهة كل ما هو مخجل وعار بين

(*) الشيخ الحكيم، وصاحب النُصح الدائم للمحاربين في الإلياذة والأوديسة.

(٤٦) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١١٨.

(٤٧) مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧، صـ٣٣.

(٤٨) مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦، صـ٦٠.

(٤٩) المرجع نفسه: صـ٦١.

البشر من سرقة، وزنا، وخداع بعضهم البعض"(٥٠)، ويقول في شذرة أُخرى:" إله واحد أعظم بين الآلهة والناس، وليس مُشابهًا للبشر بأي حال من الأحوال سواء في الجسد أو في الفكر"(٥١)، وهكذا رفض إكسينوفانيس اعتقاد هوميروس عن الألوهية.

وقد انتقد هيراقليطس أيضًا – شأنه شأن إكسينوفانيس – النزعة الأسطورية الثيولوجية التي اعتقدها هوميروس؛ ففي رأيه أن الطقوس والقرابين ليست هي التي تجعل الناس فُضلاء، فهذه الممارسات الشعائرية تتسم بالطابع السطحي والبدائي(٥٢)، كما رفض فكرة تجسيد الإله؛ لأن الإله أفضل وأرقى بقدر كبير من البشر، ولعل هيراقليطس كان مُتأثرًا هنا بإكسينوفانيس؛ لأنه يَثور ضد طرق العبادات التي تُسيء فَهم جوهر الألوهية، وتنسبُ إليهم صورًا بشريةً(٥٣).

أما سقراط فقد كان لنزعته العقلية أكبر الأثر فيما يتعلق بموقفه من الدين الهوميري، فقد رفض سقراط الخضوع للعقائد العُرفية، والعقائد الدينية التي ترتكن إلى الأساطير، وكانت له مواقفه التنويرية فيما يتعلق بالآلهة وأساطيرهم؛ إذ أنكر سقراط وجود الآلهة اليونانية القديمة، وبعد تفكير طويل توصَّل إلى أن الإله لا بُدَّ أن يكون هو الحكيم الأوحد المنزه عن الخطأ، وأن العقيدة الدينية لابُدَّ أن تنبع من العقل والقلب معًا(٥٤).

ويلاحظ في المحاورات الأفلاطونية نقدًا لاذعًا قدَّمه أفلاطون في محاورة الجمهورية لاعتقاد الألوهية عند هوميروس، ورفض تلك الصورة البشرية التي صورتها أشعاره، فقال أفلاطون:" لا ينبغي أن نقول أبدًا أن الآلهة تشن الحرب على الآلهة، وأنها تنصب الفخاخ، وتحيك المؤامرات بعضها لبعض، فتلك قصص كاذبة يجب ألا تُقال لحراس المستقبل،...، وإن الآلهة قد أطلقت لنفسها العنان في كل المعارك التي صورها خَيالَ هوميروس؛ وذلك ما لا ينبغي أن نسمحَ به في جمهوريتنا، سواء أكان المفروض أن لهذه القصص معنى أسطوريًّا أم لم يكن؛ لأن الطفل لا يستطيع أن يُميِّز الأسطوري من الواقعي، ولا شك أن كل ما يتلقاه ذهنه

---

(50) G.S. Kirk & J.E. Raven: The pre-Socratic philosopher, Cambridge University press, 1962, Frag (169), p. 168.

(51) Ibid: Frag (173), p. 169.

(٥٢) برتراندرسل: حكمة الغرب، ج١، ترجمة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣، صـ٤٢.

(٥٣) علي حسين قاسم: جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة" دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين، صـ٥٥، صـ٥٦.

(٥٤) المرجع نفسه: صـ٥٧.

في هذا السن ينطبع فيه بعمق لا تمحوه الأيام؛ ولذا كان من أعظم الأمور أهمية أن تكون أُولى القصص التي تطرق أسماع الأطفال أمثلة سامية لأفكار فاضلة"(٥٥)، وهكذا رفض أفلاطون اعتقاد هوميروس عن أنسنة الآلهة؛ إذ إنها تُسيءُ للآلهة، ولا تُشير إلى فضائلهم؛ ولذلك طرد أفلاطون هؤلاء الشعراء الهوميريين من مدينته الفاضلة.

هذه إذًا الصورة العامة لاعتقاد هوميروس عن الألوهية في الإلياذة والأوديسة، حيث خلع عليها صفات وأفعال البشر، واعتقاده هذا تلقاه عموم الإغريق في عصره بالتقديس والتبجيل، ولاقى الاعتقاد نفسه نقدًا لاذعًا عند الفلاسفة اللاحقين عليه.

ثانيًا– القضاء والقدر:

اعتقد هوميروس أن هناك قوة عُليا مُسيطرة على الآلهة والبشر، وعلى كل من في السماوات والأرض وهي التي ترسم كل شيء، ويجري كل شيء وفق ما رُسم، وأنه لا يدَ لمخلوقٍ ولا لإلهٍ على نقض ما أراده، أو تغيير ما قضى به، وهذه القوة العُليا تُسمَّى القدر (μοίρα)(٥٦)، وهو مصطلح في اللغة اليونانية القديمة ويعني في الاشتقاق Share أو Portion جزء أو مشاركة(٥٧)، وعلى الرغم من أن نطاق تطبيقه قد اتسع ليشمل الطريقة المُناسبة التي يتم بها توزيع شيء ما، وكيف يجب على الإنسان أن يتحدَّث ويتصرف، كما أنه يُعبِّر أيضًا عن المشاركة المناسبة، أو الطريقة المناسبة لكل فرد في أحداث الحياة، فيحدد موقع كل فرد في العالم وفي المجتمع، وذلك في سياق النظام الكوني(٥٨).

---

(٥٥) أفلاطون: محاورة الجمهورية، دراسة وترجمة: د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ك٢، ف ٣٧٨، صـ٢٤١.

(٥٦) علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، صـ١٢. وأيضًا:

-Arthurl Keith: Fate and Freedom as viewed by Homer, An essay in southern Illinois University, 1928, p. 16.

(57) Mingui Sui: The Concept of fate in Homeric's epic "An interdisciplinary perspective", An essay in the 2023 5th in international conference on literature Art and Human development, Hangzhou Normal University, China, 2023, p.113.

(58) E. Sarischoulis: Fate, Divine Will and Narrative concept in the Homeric Epics, An essay in open edition Journal, December, Vol. (10), 2016, p. 84.

وقد جعل هوميروس القدر هو السلطة الحاكمة التي يجب على الآلهة أن تنحني لها، فزيوس نفسه كان خاضعًا للمويرا(٥٩)، فعلى الرُّغم من أن زيوس يفتخر بقوته وأنه يتفوق على جميع الآلهة بلا منازع ، إلا أنه يُصوِّر لنا أن هناك قوةً عُليا يخضع لها الجميع وعلى رأسهم زيوس، وهذه القوة هي القدر؛ فكان زيوس يخضع لقرارات القدر مثلة مثل أكثر البشر تواضعًا(٦٠)؛ فالقدر أقوى من كل الآلهة والبشر مجتمعين(٦١)، وزيوس في الإلياذة غير قادر على وضع نهاية للمبارزة بين البطلين هيكتور وأخيليوس، ويسأل القدر لتحقيق ذلك، ويُلقي القُرعة بين البطلين في كفتي الميزان الذهبي، وتتحرك كفةُ موت هيكتور نحو الأسفل، ويجد زيوس –بكل قوته الإلهية– نفسه عاجزًا عن مدِّ يد العون لمحبوبه، وهكذا يموت هيكتور بطعنة من رمح أخيليوس رغمًا عن إرادة زيوس، وتماشيًا مع إرادة القدر(٦٢)، وقال زيوس في أثناء المبارزة بين البطلين:

"أيتها الآلهة، أَعملوا فكركم وتدبروا، وقولوا لي
ما إذا كنا سننقذه (هيكتور) من الموت أم أننا سنتركه يموت
على يدي أخيليوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم،
فأجابته الإلهة أثينا:" يا أبتِ، يا إله الصواعق، يارب السُحب السوداء الثِقال،
أتقول ذلك على رجلٍ فانٍ، مُقدَّر عليه الموت منذ أمد طويل؟
أتريد أن تخلصه من مصير قدر الموت المفجع؟
فلتفعل إذًا، ولكن لن يوافقك على ذلك أيُّ منا نحن الآلهة الآخرين"(٦٣).

وهكذا رأى هوميروس أن القدر أقوى من كل الآلهة والبشر، وأن الجميع يخضع له؛ فهو العُنصر الغلَّاب، وهذا أيضًا ما يصوره في حديث الإلهة هيرا مع البطل

(59) James Duffy: Homer's Conception of Fate, An essay in the classical Journal No.8, Vol (42) May, 1947, p. 447. See also: Naoko Yamagata: Homeric Morality, An thesis submitted to the University of London for the degree of Doctor of philosophy, University College London, April, 1990, p.165.
(60) New Larousse Encyclopedia of Mythology, p. 107.
(61) Susanna Braund, Glenn W. Most: Ancient Anger Perspectives from Homer to Galen, Cambridge University press, New york, 2003, p. 57.
(٦٢) أ.أ. نيهارت: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمادي، الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٤، صـ٦.
(٦٣) هوميروس: الإلياذة، ك٢٢، ترجمة: د. عادل النحاس، ف١٧٥، ف ١٨٠، ف١٨٥، صـ٧١٢.

أخيليوس؛ إذ قالت هيرا:

" أي أخيليوس الجبار أحقًّا سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر المحتوم

قريب منك، ولن نكون نحن السبب؛ بل سيأتي إليه قوى وقدر

(مويرا) غلَّاب"[٦٤].

ويشير القدر عند هوميروس إلى فكرة احترام النظام الكوني، وأن أيَّ انتهاكاتٍ لهذا النظام حتمًا سيكون هناك عواقب سلبية؛ وذلك من أجل التوازن المتأصل بين الطبيعة والمجتمع البشري؛ فاحترام القدر والمصير يعني المطالبة بالحفاظ على التوازن في العالم وفي الحياة وفي المجتمع البشري، كما أنه يُعدُّ ردَّ فعلٍ حتميًّا على جميع الأفعال البشرية التي تَنتهكُ الحدود المقررة[٦٥]، وهذا ما يصوره لنا هوميروس في الإلياذة؛ إذ يجب أن تحترم الآلهة النظام الكوني وتقسيماته التي حددها لهم القدر، ولا يتعدَّى أحدٌ منهم على هذا التوازن المتأصل في الكون.

ويظهر ذلك في حديث الإلهة إيريسEris (ربة النزاع والشقاق) مع الإله بوسايدون حين حملت الإلهة إيريس رسالة من زيوس بأن يكف بوسايدون عن المشاركة في القتال والحرب، وإذا لم يُنفِّذ بوسايدون أوامر زيوس فَسيُقضى عليه، وهذه الرسالة أغضبت بوسايدون؛ بسبب محاولة زيوس انتهاك تقسيمات القدر وتجاوزها، فلا بُدَّ من أن يلتزم كلُّ واحدٍ من الآلهة بما حدده له القدر من ممتلكاتٍ، ولا يتعدى على غيره، وذلك كله من أجل التوازن بين الطبيعة والمجتمع البشري؛ إذ إنَّ مشاركة بوسايدون في القتال من عدمها ليس من اختصاص زيوس؛ فالأرض مشاعٌ للجميع وليس من سلطات زيوس أن يتدخل في توازنات القدر[٦٦]، وقد تحدَّث بوسايدون إلى إيريس قائلًا:

" نحن إخوة ثلاثة أنجبنا كرونوس وريا:

زيوس، ثم أنا، وثالثنا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.

قُسِّمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعيَّن لكل منا نصيبه،

وعندما ضربت القرعة كان البحر الرمادي نصيبي؛

---

(٦٤) هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ترجمة: د. أحمد عتمان، ف ٤١٠، صـ ٦٥٥.

(65) E. Sarischoulis: Op. Cit. p. 92

(٦٦)هوميروس: الإلياذة، ك١٥، ترجمة: د. السيد عبد السلام البداوي، ف ١٨٥، ف ١٨٠، ف ١٩٠، صـ٥١٨.

ليصير مسكني إلى الأبد، وفاز هاديس بالظلام الدامس
في حين كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزيوس،
وبقيت الأرض والأوليمبوس الشاهق مشاعًا لنا جميعًا"[٦٧].

وكذلك اعتقد هوميروس أن القدر هو الذي يُمكن أن يتنبأ بتسلسل الأحداث على المدى القصير، والمتوسط، والطويل[٦٨]، كما أنه المسئول عن تحديد مُدة حياة الإنسان؛ إذ تكثر الإشارات في الإلياذة إلى أنَّ القدر هو الذي يبعث بالإنسان إلى هاديس، ولا أحد يستطيع أن يتملَّص من قدره المحتوم نبيلًا كان أم وضيعًا؛ فالموت هو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته[٦٩]، وعلى الرغم من كثرة الإشارات في الإلياذة والأوديسة إلى أن القدر هو الذي يحدد حياة الإنسان[٧٠] إلا أنَّ هناك دلائلَ تشيرُ إلى أن الموت يُمكن تسريعه، أو إعاقته بعض الشيء من خلال الفعل الإلهي أو الفعل الإنساني؛ فنقاش زيوس مع هيرا حول إمكانية إنقاذ ابنه الحبيب ساربيدون Sarpedon من الموت عندما ضربه باتروكلوس Patroclus يوضح هذا الافتراض على المستوى الإلهي؛ لأن الهدف من اعتراض هيرا على مثل هذا المسار من العمل ليس لأنه إله لا يستطيع ذلك، ولكنه لا يجوز له أن يتدخل في قوانين القدر؛ لأنه إذا فعل ذلك فإن الآلهة الأخرى ستفعل الشيء نفسه[٧١].

وكذلك أيضًا نجد على المستوى الإنساني أن الفعل البشري يُمكن أن يُعجِّل أو يؤخر تحقيق المصير، وهذا ما يظهر من تحذير ثيتيس لأخيليوس من أنه إذا قَتَل هيكتور، فإنه محكوم عليه بالموت السريع[٧٢]؛ إذ قالت ثيتيس في تحذيرها لأخيليوس:" إنَّك يا بني، قُدِّر عليك الموت الوشيك طالما تتكلم هكذا؛ فموتك آتٍ مباشرة بعد موت

[٦٧] هوميروس: الإلياذة، ك١٥، ف١٩٠، ف ١٩٥، صـ٥١٨.
[68] E. Sarischoulis: Op. Cit. p.83.
[٦٩] هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف٤٩٠، صـ٢٨١، صـ٢٨٢.
[٧٠] انظر: هوميروس: الإلياذة، ك١٥، ف٥٠، صـ ٥٣٠. وأيضًا:
- المصدر نفسه: ك١٤، ترجمة: د. السيد عبد السلام البرّاوي، ف٤٦٥، صـ٥٠٥.
- المصدر نفسه: ك١٣، ف ٦٧٠، صـ٤٧٨.
- المصدر نفسه: ك٨، ف ٤٨٠، صـ٣٢٩.
- المصدر نفسه: ك١٨، ترجمة: د. السيد عبد السلام البرّاوي، ف١١٥، ف١٢٠، صـ٦١٧.
- هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١٢١.
[٧١] هوميروس: الإلياذة، ك١٦، ترجمة: د. السيد عبد السلام البرّاوي، ف ٤٣٠: ف٤٦٠ ، صـ٥٦٠، صـ٥٦١.
[72] Robert Garland: The Greek way of Death, Cornell University press, New york, 1985, p. 20.

هيكتور"[٧٣] ، ومن خلال ما سبق يلاحظ أنه على الرغم من وجود أصداء هوميرية كثيرة في الإلياذة والأوديسة مفادها أن موت الإنسان تم تحديده بواسطة القدر إلا أَنَّ هوميروس يوضِّح أحيانًا أنَّ هناك مزجًا بين الإرادة الإلهية والفردية من جهة، وبين القدر من جهة أخرى.

وقد انتقل اعتقاد هوميروس عن القدر إلى الفلاسفة اليونان الذين أخذوا به في تفسيراتهم عن الموجودات الطبيعية والأعمال الإنسانية[٧٤]؛ فليست التفسيرات الطبيعية التي تَرُدُّ الكائناتِ إلى صورة ثابتة لا تتغير، كالماء عند طاليس، والهواء عند أناكسيمينس Anaximenes، والنار عند هيراقليطس... إلخ إلا تطبيقًا لفكرة القدر والضرورة التي تخضع لها حياة الآلهة والبشر جميعًا في أشعار هوميروس[٧٥].

ثالثًا- الموت والعالم الآخر:

اعتقد هوميروس أنَّ الموت هو انعدام المميزات والخصائص التي تجعل الحياة جديرة بأن نحياها؛ فالإنسان مكوَّن من جسد وروح، وعند الموت تترك الروحُ الجسدَ وتذهبُ للعالم الآخر، في حين يبقى الجسد ذلك الجزء المادي القابل للفناء فريسةً لما قد يفعله به الأحياء سواء أكان خيرًا أم شرًّا؛ فبحلول الموت يتلاشى الإنسان بكل حيويته وفطنته وذكائه، ولا يبقى سوى طيفٍ لا حول له ولا قوة[٧٦]؛ فهو أمر لا مفر منه[٧٧]، وهذا ما أفزع أخيليوس أشد الفزع وجعله يصرخ قائلًا:" كلا، يا أوديسيوس Odysseus المجيد لا تحاول أن تُحبِّذ لي الموت، فقد كنت أُفضِّل أن أعيش فوق الأرض وأن أشتغل أجيرًا في خدمة رجل آخر مهما كان حقيرًا ضئيلَ الرزق على أن أكون الآن سيدًا على جميع الموتى الذين هلكوا"[٧٨].

وهكذا اعتقد هوميروس أن الموت هو الشر الأعظم؛ فالموت عنده لم يكن رِقادًا

---

(٧٣) هوميروس: الإلياذة، ك١٨، ف ٩٥، صـ٦١٦.
(٧٤) حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، صـ٥٥.
(٧٥) شرف الدين عبد الحميد: المقدمات الهيرمينوطيقية للفلسفة اليونانية، تصدير: د. مجدي السيد كيلاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٢٢، صـ١٣٦، صـ ١٣٧.
وانظر أيضًا: مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، صـ٣٤.
(٧٦) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، صـ٩.
(٧٧) هوميروس: الإلياذة، ك١١، ترجمة: د. منيرة كروان، ف ٤٥٥، صـ٤١٣.
(٧٨) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٩٦. وأيضًا: باري بي باول: هوميروس، صـ٢٢٩، ص٢٣٠.

يحفه السلام، وكذلك لم يكن الوجود الأفضل، ولا الأكثر سعادة في العالم الآخر[٧٩]، فكان الموتُ أمرًا منبوذًا عند هوميروس، وتكثر الإشارات في الإلياذة والأوديسة بوصفه "الموت الأسود"[٨٠]، أو "الموت المشئوم"[٨١]، أو "الموت الكريه"[٨٢]، أو "الموت المُظلم"[٨٣]، أو "الموت الذي يفتك بالأرواح"[٨٤]، أو "الموت المفجع"[٨٥].

ويصور هوميروس الموتَ أيضًا بأنه فقدان الأعصاب التي تربط اللحم بالعظم، فهو المصير الأكثر تعاسة الذي يُمكن أن يواجهه الإنسان، ويظهر ذلك في حديث والدة أوديسيوس عندما ذهب إليها أوديسيوس في هاديس (العالم الآخر) Hades وتحدَّث مع روح والدته؛ فقالت له:

"ويل لي يا بني، يا أكثر البشر تعاسة وسوء حظ، إن بيرسيفوني (زوجة هاديس) Persephone ابنة زيوس لا تخدعك بحال من الأحوال، ولكن هذه هي الطريقة المتبعة مع البشر عندما يموتون، فما عادت الأعصاب تربط اللحم بالعظم"[٨٦].

ولكن هذا النفور من الموت وعالمه عند هوميروس لا يؤدي بالضرورة إلى الجبن وتجنب ملاقاة الموت بأية وسيلة، وعلى العكس من ذلك فإن هوميروس يُمجِّد الشجاعة في القتال ويُعلي من شأن الموت في ساحة الوغَى، وما دام الموت هو النهاية المُحققة والحتمية، سواء للمتقاعس الذي لا يعمل شيئًا أم للبطل المقدام الذي ينجز الكثير، فمن الخير أن يموت الإنسان بطلًا على أن تُلصَق به صفة الجبن والتخاذل حتى في موته[٨٧].

وقد أشار هوميروس في العديد من المناسبات إلى أنه يجب احترام احتياجات

---

[٧٩] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، صـ٣٤.

[٨٠] هوميروس: الإلياذة، ك٧، ترجمة: د. منيرة كروان، ف ٢٥٥، صـ٢٩٧. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١١، ف٤٤٥، صـ ٤١٣. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١١، ف٣٦٠، صـ٤٠٩. وأيضًا: المصدر نفسه: ك٥، ترجمة: د. أحمد عتمان، ف ٦٥٥، ص٢٥٣.

[٨١] هوميروس: الإلياذة، ك٥، ف ٥٥٥، صـ ٢٥٠.

[٨٢] المصدر نفسه: ك٥، ف ٥٠، صـ٢٣٢.

[٨٣] المصدر نفسه: ك٥، ف ٨٥، صـ٢٣٣.

[٨٤] المصدر نفسه: ك١٣، ف ٥٤٥، صـ٤٧٤.

[٨٥] المصدر نفسه: ك٦، ف ٢٠، صـ٢٦٥.

[٨٦] هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٨٧.

[٨٧] منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ٩. وانظر أيضًا: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٣٤.

الموت، ومنها الدفن اللائق(٨٨)؛ إذ إن الدفن حسب المعتقد الإغريقي الهوميري هو وضع الأمور في نصابها الصحيح، فهو عملية ضرورية لضمان وصول الروح للعالم الآخر، فإذا لم تُدفَن جُثة الميت ظلَّتْ روحُهُ حائرةً بين عالَمَيِّ الأحياء والموتى، ولا يقبلها الأحياء في عالمهم؛ فلم يعد صاحبها ينتمي إليهم، ولا يقبلها الموتى كذلك في مملكتهم؛ لأن صاحبها لم يدخل في زمرتهم بعدُ(٨٩).

ويلاحظ أن عملية الدفن عند هوميروس هي البداية التي تعبر منها الروح للعالم الآخر؛ لتستقر في مملكة الموتى، فعندما يسقط بطلٌ من المحاربين فإنَّ روحَه تظلُّ حائرةً، ولا يُمكنها أن تجتاز بوابات هاديس دون أن تتمَّ لها شعائر جنائزية مُعينة، ثُمَّ تتم عملية الدفن، وهذا ما يَظهَرُ في الكتاب التاسع عشر من الإلياذة في حديث أوديسيوس إلى أخيليوس؛ إذ قال:" لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكي عليهم يومًا، ثم نقوِّي قلوبنا بعد ذلك"(٩٠).

إنَّ الدفن في المعتقد الهوميري من أهم حقوق الموتى؛ فهو حقٌّ مُقدَّسٌ كَفَلَتْهُ لهم الآلهة، وأكَّدتْه التقاليد والأعراف؛ لذلك عُدَّ منعُهم من هذا الحق عملًا بربريًّا وعدوانًا على الناموس الطبيعي(٩١)، فالدفن تتويج لحياة الإنسان كما أنه ضمان لاستقرار الروح في العالم الآخر(٩٢)، فحينما قتل باتروكلوس ساربيدون أمر زيوس فوبوس (إله الخوف) phobos بأن يأخذ جُثة ساربيدون الميت ويطهره من الدماء، ويعطره بالعطر الإلهي، ويرسله على عجل إلى أرض ليكيا؛ ليقيم أقاربه وأصدقاؤه جنازة تكريمًا له وتمهيدًا لدفنه(٩٣).

وقد أشار هوميروس إلى الطقوس الجنائزية وأهميتها(٩٤)؛ إذ تم تخصيص سبعة عشر يومًا لجنازة أخيليوس، وتسعة أيام لجنازة هيكتور، ويومين لباتروكلوس، ويبدو أن

(88) Robert Garland: Op. Cit. p.1.

(٨٩) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ٩. وانظر أيضًا: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٢٨.

(٩٠) هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف ٢٣٠، صـ٦٤٨.

(٩١) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ ٢٨.

(٩٢) المرجع نفسه: صـ٣٠.

(٩٣) هوميروس: الإلياذة، ك١٦، ف ٦٧٠، ف ٦٧٥، صـ٥٧٠.

(٩٤) انظر: المصدر نفسه: ك٢٣، ترجمة: د. عادل النحاس، ف ١٦٥، صـ٧٣٥، صـ٧٣٦. وأيضًا: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١٢٤. وأيضًا: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية، صـ١٠٢.

مدتها تتحدد إما من خلال المكانة الاجتماعية للمتوفى، وإما من خلال الحُزن الذي يشعر به الناجون[٩٥]، كما دعا هوميروس إلى احترام حُرمة الموتى؛ فكم من مرة توقفت الحروب، وسكتت أصوات القتال كي يتمكن الطرفان المتحاربان من دفن موتاهم، وهذا يظهر في المشهد الختامي في الكتاب الرابع والعشرين من الإلياذة؛ فعندما قتل أخيليوس هيكتور، أراد برياموس Priamus (والد هيكتور) أن يُقيم له مراسم الدفن، فأوقف أخيليوس القتال من أجل إتمام مراسم الدفن والوليمة الجنائزية التي طلبها برياموس[٩٦].

وقد قدَّم هوميروس تصورًا للعالم الآخر (هاديس) وحكى قصةَ خَلقِهِ؛ ففي الإلياذة يحكي بوسايدون قصة خلق الكون، حيث قُسِّمت الأشياء بين الإخوة الثلاثة: زيوس، وبوسايدون، وهاديس؛ فكان الظلام الدامس من نصيب هاديس (إله العالم السفلي) [٩٧]، وهو مكان يحيا فيه الموتى حياة الأطياف، وهم يشبهون في شكلهم العام ما كانوا عليه قبل الموت، بل إنهم يلبسون الملابس نفسها التي اعتادوا لبسها في أثناء حياتهم، ولكنهم مجرد أطياف وأشباح فاترة لتلك القوة التي كانت تسري في عروقهم قبل الموت، وهو شكل من أشكال الوجود يناقض تمامًا ما كان عليه المحاربون الآخيون الذين صورهم هوميروس في ملاحمه[٩٨]، وفي ذلك قال أخيليوس:" في مقر هاديس توجد أرواح وأشباح، لكنها عديمة الإدراك،...."[٩٩].

وفي الأوديسة يعتقد هوميروس أن الأرواح يُمكنها أن تتحدث في بيت هاديس تحت أعماق الأرض؛ إذ إنَّ شبح أجاممنون وهو في عالم الموتى امتدح بينيلوبي Penelope(زوجة البطل أوديسيوس) وصرح بوفاتها[١٠٠]، وكذلك ذهب أوديسيوس إلى هاديس لمقابلة بيرسيفوني (زوجة رب الجحيم هاديس) بحثًا عن روح العرَّاف تيرسياس Teiresias؛ لأخذ مشورته، فقد منحته بيرسيفوني سداد الرأي حتى بعد موته[١٠١].

---

(95) Robert Garland: Op. Cit. p. 19.

(٩٦) هوميروس: الإلياذة، ك٢٤، ترجمة: د. عادل النحاس، ف٦٦٠، ف ٦٦٥، ف ٦٧٠، صـ٧٩٥.

(٩٧) المصدر نفسه: ك ١٥، صـ٥١٨. وأيضًا:

-Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 19.

(٩٨) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ٥٨.

(٩٩) هوميروس: الإلياذة، ك٢٣، ف ١٠٥، صـ ٧٣٣.

(١٠٠) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثانية والعشرون، صـ٥٧٠، صـ٥٧١.

(١٠١) المصدر نفسه: الأنشودة العاشرة، صـ٢٧٣.

وقد وصف هوميروس العالم الآخر بالظلام الدامس؛ ففي حديث أوديسيوس إلى روح رفيقه إلبينور Elbinore في هاديس، قال:" كيف جئت تحت جنح الظلام الدامس يا إلبينور؟"[١٠٢]، والسمة الثانية للعالم الآخر عند هوميروس هي الكآبة، وعندما التقى أوديسيوس بروح العرَّاف تيرسياس كانت أولى الكلمات التي خاطبه بها العرَّاف هي "ما خطبك الآن أيها الرجل التعيس؟ لماذا تركت ضوء الشمس وقدمت إلى هنا لترى الموت، ومنطقة لا مرح فيها،...."[١٠٣].

وهكذا وصف هوميروس هاديس بأنه مكان كئيب مظلم لا يَسُرُّ القلب أو العين، ولا يعرف المرح أو السعادة إليه طريقًا، كما أنه يقع في مكانٍ بعيد في أعماق الأرض، وأن هناك الكثير من الصعاب والعقبات التي تجعل من المستحيل على غير الموتى أن يصلوا إليه؛ بل إن الموتى أنفسهم لا يصلون إليه إلا بشق الأنفس[١٠٤].

وينقسم العالم الآخر عند هوميروس إلى قسمين: القسم الأول يُعاقب فيه أولئك الذين ارتكبوا جرائم في حق الآلهة مثل تانتالوس Tantalus، وسيسوفوس Sisyphus؛ فهم يعانون أشد أنواع العذاب[١٠٥]، والقسم الثاني مكان يتواجد فيه الأخيار وتكون فيه الحياة أكثر سهولة، وأكثر بهجة[١٠٦].

ويلاحظ أن هوميروس أكد مرارًا وتكرارًا على أن من يناله العقاب في العالم الآخر هُم الذين أخطأوا في حق الآلهة فقط؛ فليس هناك إشارة إلى العامل الأخلاقي في محاسبة الموتى، وهو في هذا يختلف عن التصور المصري القديم الذي جعل العامل الأخلاقي أساسًا لمحاكمة الموتى[١٠٧]، أمَّا الذين يخطئون في حق غيرهم من البشر ينالون عقابهم في الحياة الدنيا، وهذا ما يصوره هوميروس في السطور الأولى من الأوديسة على لسان زيوس؛ إذ يؤكد زيوس أن البشرَ أنفسَهُم هم المسئولون عما يعانونه من الآلام والمصائر السيئة؛ لأنهم يتجاوزون ما سطرته لهم الأقدار، ويقومون بأعمالٍ شريرةٍ يستحقون أن ينالوا

---

[١٠٢] هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٨٢.
[١٠٣] المصدر نفسه: الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٨٣، صـ٢٨٤.
[١٠٤] منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي ، صـ٥٨. وانظر أيضًا:
-Robert Garland: Op. Cit. p. 49.
[١٠٥] هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٩٩.
[١٠٦] منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ٥٨.
[١٠٧] المرجع نفسه: صـ٩٣.

عليها العقاب، ويضرب زيوس على ذلك مثلًا بأيجيسثوس الذي قَتَل أجاممنون واغتصب زوجته رغم تحذير هيرمس له بألا يقتل أجاممنون ويمتنع عن مغازلة زوجته إلا أنه ضرب بهذا التحذير عرض الحائط؛ ولذلك لقى أيجيسثوس المصير السيئ على يد أوريستيس Orestias، وبهذا يكون قد كفَّر عن خطاياه ودفع ثمن جريمته(١٠٨).

وهنا يشير هوميروس إلى تطور في اعتقاداته؛ إذ يرى في الأوديسة أن المسئولية الأخلاقية تقع على عاتق الفرد بعدما كانت في الإلياذة تقع على عاتق الآلهة، وهذا ما يتضح في الإلياذة من خلال حديث برياموس إلى هيلين؛ إذ قال:

" تقدمي يا صغيرتي الحبيبة، واجلسي هنا أمامي حتى

إنه لا لوم عليكِ في نظري، وإنما يقع اللوم في رأيي على الآلهة؛

فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة"(١٠٩).

ومن خلال النص السابق يوضح هوميروس –على لسان برياموس – أن هيلين ليست عليها أي مسئولية في هذه الحرب الشنعاء، وإنما المسئولية تقع على عاتق الآلهة، وهكذا رأى هوميروس في الإلياذة أن المسئولية البشرية والأخلاقية تقع على عاتق الآلهة؛ فالفعل الإلهي في الإلياذة هو الذي يُشكِّل أسباب تطور قصة الملحمة، أما في الأوديسة فيلاحظ أن أسباب تطور قصة الملحمة تكمن في الفعل البشري؛ أي إن الدوافع البشرية هي التي تُشكِّل أساسها، وهذا تطور مهم في اعتقاد هوميروس حول مسئولية الفعل الإنساني.

كما يشير هوميروس إلى وجود قضاة تُحاكم الموتى في العالم الآخر من بينهم مينوس Minos(١١٠)؛ إذ قال أوديسيوس أنه رأى في هاديس مينوس المجيد (ابن زيوس) مُمسكًا بالصولجان الذهبي في يده، ويحكم بين الموتى وهو جالس في مقعده بينما الموتى قيامًا وقعودًا يطلبون منه الحُكم(١١١)، وهذه الصورة تذكرنا بصورة أوزيريس في الديانة

(١٠٨) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الأولى، صـ٧٦.

(١٠٩) هوميروس: الإلياذة، ك٣، ف ١٦٥، صـ ١٩٤. وهناك إشارات كثيرة لهوميروس في الإلياذة توضح أن مسئولية الفعل الإنساني تقع على عاتق الآلهة. انظر: هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف٩٠، ف٩٥، صـ٦٤٣.

(110) W.E. Gladstone: Studies on Homer and Homeric Age, Oxford University press, Vol (1) of (3), 2014, p. 168.

(١١١) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، صـ٢٩٨.

المصرية القديمة وهو جالس في قاعته يحاكم الموتى، ويحدد لهم مصائرهم بعد الموت[١١٢].

رابعًا – المرأة:

أَدَّت المرأة دورًا مهمًا في ملحمتي الإلياذة والأوديسة، وقد تباينت اعتقاداتُ هوميروس عن المرأة في الملحمتين؛ إذ تصور المرأة في الإلياذة في صورة مُتدنية؛ لأنَّ عالم الإلياذة الهوميري هو عالم كارهٌ للنساء[١١٣]، حيث أعطى للمرأة صفة الشيئية، وهذا ما يظهر من خلال غضب أخيليوس عندما حصل أجاممنون على فتاته "المرأة بريسئيس"، فغضب أخيليوس ليس بسبب خسارته للمرأة التي يحبها، بل لخسارة قطعة من ممتلكاته؛ إذ إنها ذات قيمة وخدمة كبيرة؛ فهي عبد وشيء، وليس محبوبته[١١٤].

كما صوَّر هوميروس المرأة في الإلياذة بأنها مكافأة في الحرب؛ إذ أسدى نيستور نُصحه إلى أجاممنون بأن يعيد إلى أخيليوس فتاته بريسئيس؛ من أجل عودة أخيليوس إلى القتال مرة أخرى، ولكن أجاممنون رفض وعرض عليه عددًا من النساء كهدايا تُقدَّم لأخيليوس؛ لإقناعه بالعودة للقتال؛ فقال أجاممنون:

"سوف أمنحه سبعة نساء ماهرات لا نظير
لهن جلبتهن من ليسيوس، جميلة المباني،
وكنت قد اخترتهن لجمالهن الفائق، وسوف أقدمهن له (أي لأخيليوس)
بالإضافة إلى الفتاة التي أخذتها منه
ابنة بريسيوس(بريسئيس)،.......،
وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من
الطرواديات من بين أجمل النساء بعد هيلين الأرجية"[١١٥].

وفي موضع آخر يصوِّر هوميروس المرأة كهدية فراش للمقاتل الشرس، ويظهر

---

[١١٢] منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، صـ٩٣.

[113] Audrey Wen: Penelope, Queen of Ithaka "A study of Female power and worth in the Homeric Society", Magister thesis in department of Archaeology and Ancient History, University of Uppsala, 2009, p. 13.

[114] F.A.Wright: Feminism in Greek Literature "From Homer to Aristotle" ,George Routledge & Sons, LTD, London, 1923, p. 13.

[١١٥] هوميروس: الإلياذة، ك٩، ف ١٣٠، ف ١٣٥، ف ١٤٠، صـ٣٤٢.

ذلك في حديث أجاممنون؛ إذ قال:

"أيها الحبيب إلى قلبي تيوكروس بن تيلامون (قائد من قادة الأرجيين) قائد الشعوب

واصل إطلاق سهامك هكذا حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين،......،

فإذا ما مكنني زيوس وأثينا من تدمير مدينة إليون متينة البنيان؛

فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،

التي قد تكون معقدًا ثلاثيًّا أو زوجًا من الجياد ومعها عربة،

أو امرأة تشاركك فراشك"[١١٦].

ويستمر هوميروس في تصويره لدونية المرأة في الإلياذة؛ إذ إن ألكسندروس (شبيه الآلهة الطروادي) ومينيلاؤس (الآخي) سيتبارزان أمام الطرواديين والآخيين جميعًا، ومن يفوز بالمبارزة سيأخذ هيلين وما تملكه هدية له[١١٧]، كما صوَّر هوميروس المرأة في الإلياذة بأنها أُنموذجًا للفجور، والفسق، والخيانة؛ فهيلين ذات الجمال النادر، والحسب والنسب، وزوجة الملك مينيلاؤس أبرز ملوك الإغريق قد أحبّت باريس Paris الطروادي، وخانت زوجها وغادرت بلادها، وجَرَّ فعلُها هذا الويلاتَ للإغريق والطرواديين[١١٨]، ورغم هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلا أن هوميروس أشار إلى أندروماخي Andromache زوجة هيكتور باعتبارها أُنموذجًا للوفاء، وللمحبة المخلصة لزوجها، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الإلياذة، وكثرت الإشارات إليها هي الصورة المتدنية الشيئية التي تُقلل دائمًا من شأن المرأة[١١٩].

وقد انتقلت هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلى عددٍ من الفلاسفة اليونان؛ إذ إنَّ تصور هوميروس عن دونية المرأة لا يختلف كثيرًا عما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو؛ فنجد مثالية أفلاطون تكمن بداخلها ضعف عقيدته النسائية؛ إذ صور أفلاطون المرأة في محاورة الجمهورية بصورة متدنية، فهي عنده مشاع للجميع، ولا تُقيم تحت سقف رجلٍ واحدٍ

---

(١١٦) هوميروس: الإلياذة، ك٨، ف ٢٨٥، ف ٢٩٠، صـ٣٢٢.

(١١٧) المصدر نفسه: ك ٣، ف ٢٥٥، صـ١٩٧.

(١١٨) المصدر نفسه: ك٣، ف ٤٢٠: ف ٤٥٠، صـ٢٠٣، صـ٢٠٤، صـ٢٠٥.

(١١٩) المصدر نفسه: ك٦، ف ٤٠٥: ف ٤٢٥، صـ٢٧٩.

بعينه[١٢٠]، كما صورها بالشيئية أيضًا، فيمكن أن تُمنح المرأة كمكافأة وامتياز للشبان الذين يبلون بلاءً حسنًا في الحروب وغيرها من المهام، ويمكن زيادة عدد مرات معاشرتهن تبعًا لأداءِ هؤلاء الشبان في الحروب[١٢١]، كما تأثر أرسطو أيضًا بتلك الحالة الدونية للمرأة عند هوميروس؛ إذ رأى أرسطو أنَّ النساء أقل اعتدالًا وقوة في رغباتهن من الرجال، ولا يلومهن بل ينظر إليهن بالشفقة؛ لأن المرأة عنده هي أضعف من الرجل بطبيعة الحال[١٢٢]، فهي تفتقر للفضائل الأخلاقية والفكرية المطلوبة[١٢٣]، وهنا يُمكن القول بأن اعتقاد هوميروس – في الإلياذة – عن دونية المرأة ساد وجهة النظر الأفلاطونية والأرسطية عن المرأة.

ولكن هل تصور هوميروس عن المرأة في الإلياذة يختلف عنه في الأوديسة؟ تَعرِضُ الأوديسة عدد من الشخصيات النسائية، فاعلات رئيسات في الدراما أهمها: كاليبسو[*]Calypso، وناوسيكا[**]NausiCaa، وبينيلوبيPenelope، ويتضح موقف هوميروس من المرأة في الأوديسة من خلال تصويره لهن؛ إذ صوَّر هوميروس كاليبسو (حورية البحر) على أنها مُغرية وأنانية، لأنها اتخذت جزيرة لها في البحر لاستخدامها من أجل إشباعها الجنسي[١٢٤]، وفي أثناء عودة أوديسيوس إلى بلدته إيثاكا وصل إلى هذه الجزيرة التي تُسيطر عليها كاليبسو، وأرادت كاليبسو في بداية الأمر أن تمنع أوديسيوس عن زوجته بينيلوبي وابنه تيليماخوس، وتتخذه حبيبًا لها بعد أن يبقى على الجزيرة معها، كما أن حورية البحر ستمنحه الخلود إذا وافق وظل معها في هذه الجزيرة[١٢٥]، ولكن في نهاية الأمر

---

(١٢٠) أفلاطون: محاورة الجمهورية، ك٥، ف ٤٥٧، صـ٣٤٤.

(١٢١) المصدر نفسه: ك٥، ف ٤٦٠، صـ٣٤٨.

(122) F.A. Wright: Op. Cit. p 122.

وانظر أيضًا: إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، صـ٨١.

(123) Larry Arnhart: A Sociobiological Defense of Aristotle's sexual politics, An essay in international political science Review, N. (4), Vol. (15), p. 392.

(*) حورية البحر، عاشت على جزيرة في وسط البحر، ووقعت في حُب أوديسيوس في أثناء وصوله لجزيرتها.

(**) ابنة جميلة لألكينوس ملك الفياكيين، وكانت أول من قابلت أوديسيوس بعد أن تحطمت سفينته على الساحل الفياكي. انظر: هوميروس: الأوديسة، ك٥، صـ١٨٤، في الهامش.

(124) Amanda Turner: Across the sea's Brood Back "interpreting the Role of Homer's women in Odysseus" ,Quest for Ithaka, Boston College, 2008, p. 34.

(١٢٥) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الخامسة، صـ١٦٨، صـ١٦٩، صـ١٧٠. وأيضًا:

-Karen Anne: Tales for All time "the Role of emotion in modern Reception on Homeric Epic", A thesis submitted for the degree of doctor of Philosophy, the Australian National University, 2021, pp. 46-47.

رفضت أنانيتها، وسيطرت على إغرائها، وسمحت له بمواصلة الرحلة؛ من أجل العودة إلى زوجته وابنه، بل وقامت بإرشاده لتفادي أيّ خطرٍ قادمٍ سيواجِهَهُ؛ فكان لديها المسئولية عن مصير أوديسيوس، وبدونها لم يكن هناك ضمان للعودة الآمنة أو العودة على الإطلاق [١٢٦]، كما أن وصف هوميروس لها بالمرأة الحسية لم يتخطَ مرحلة التخيل فقط.

وعندما غادر أوديسيوس جزيرة كاليبسو استقر إلى غابةٍ قريبةٍ من الماء، وأخذ يزحف تحت شجرتين احتمى بهما، وغطى نفسه بالأوراق من العُري، وقد غلبه النعاس[١٢٧]، وعندما استيقظ دخل وسط جماعة من العذارى مدفوعًا بباعث الحاجة؛ فانكمشت العذارى مذعورات واحدة هنا وأخرى هناك، ولكن ناوسيكا وقفت ثابتة وشجاعة[١٢٨]، وأخذته إلى المدينة التي يملكها الفياكيون[*][١٢٩]، وهنا يصوّر هوميروس ناوسيكا ببنت في معية الصِبا، وعلى وشك أن تدخل سن النضج الأنثوي، وعندما يواجهها رجلٌ عارٍ فإنها تتماسك في رزانة ووقار بنت الملوك، وتعمل على أن تغسل له جراحه، وتغطي جسده بالملابس، وتصف له كيف يدخل قصر أبيها، وهي بذلك تتصرف تصرفًا رائعًا فيه الكثير من العفوية، والتلقائية، والكياسة، وهو سلوك يعكس حُسن التربية ونبالة الأصل الملكي[١٣٠].

وهكذا صور هوميروس في الأوديسة كاليبسو وناوسيكا كنموذجين للمرأة الفاضلة؛ فقد وضعتا رغباتهن الشخصية من إغواء وأنانية جانبًا، واستخدمتا نفوذهما من أجل منح البطل أوديسيوس العودة الآمنة؛ لذا فهما نموذجان للمرأة الساحرة التي تُسيطر على رغباتها، وتجمع بين الكرم من ناحية والحذر من ناحية أخرى.

أما الصورة الثالثة للمرأة في الأوديسة فيصورها هوميروس في شخصية بينيلوبي؛ إذ جعلها امرأة بشرية لا تتصف بأنها من الساحرات، أو أنها من نسل الآلهة، أو من عالم محمي ومستقر، بل امرأة بشرية ليس لها أي قوى سحرية، وهي تعيش عازبة بين

---

(126) Audrey Wen: Op. Cit. p. 13.

(١٢٧) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الخامسة، صـ١٨٠.

(١٢٨) المصدر نفسه: الأنشودة السادسة، صـ١٨٧، صـ١٨٨.

(*) شعب خرافي يعيش في جزيرة سخيريا، وكان شعبًا كثير الخير، ويعيش في سعادة بعيدًا عن الحروب، واشتهر هؤلاء القوم بالملاحة. انظر: هوميروس: الأوديسة، صـ١٨٣، في الهامش.

(١٢٩) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة السادسة، صـ١٩٠.

(١٣٠) أحمد عتمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، صـ ٥٦.

الخاطبين[131]؛ فهي امرأة تعرف كيف تقولُ لا لكلِّ المغرياتِ والشهواتِ، وهذا ما يصوره لنا هوميروس في الأنشودة الثامنة عشرة من الأوديسة؛ إذ غابَ أوديسيوس زوجُها ما يقرب من عشرين عامًا في أثناء عودته إلى وطنه إيثاكا، وفي أثناء غيابه ذهب عدد من الخاطبين والمغازلين إلى منزلها، وقدَّموا لها عددًا من الهدايا الباهظة الفضفاضة، وسلاسل من الذهب المُرصَّعة، وأزواجًا من الأقراط بها بريق اللؤلؤ، وكلُّ ذلك وغيرُه من أجل أن يفوزَ بها أحدُ الخاطبين[132]، ولكنها لم تستسلم لإغراء الخاطبين والعلاقات الحميمة معهم، وأشهرت عفتها من أجل الولاء لزوجها[133].

وهكذا صوَّرت الأوديسة بينيلوبي كنموذج للمرأة العفيفة المُخلصة لبيتها وزوجها وحتى في أثناء عودة أوديسيوس وفي حديثه معها وهي لم تتعرَّف عليه قالت له:" أيها الغريب، إن بهائي كله، سواء في الجمال أم في القد قد حطمه الخالدون في اليوم الذي أبحر فيه الأرجوسيون إلى إليون، وصحبهم زوجي أوديسيوس؛ فلو أنه أتى فقط وأشرف على حياتي هذه لغدا صيتي أعظم وأعطر، ولكنني الآن مهمومة الفؤاد،....، وكل هؤلاء يغازلونني على كُره مني ومضض، ويخربون بيتي؛ ولذلك فإنني لا أُعير أيَّ اهتمامٍ لأيِّ غريبٍ، بل أذيب قلبي دون جدوى من فرط شوقي إلى أوديسيوس، ومن ثم فإنَّ أولئك الرجال يلحّون في طلب الزواج مني، وإنني أراوغهم وأدبر لهم شتى الحيل"[134].

وكان بوسع هوميروس أيضًا أن يكتفي بتصوير بينيلوبي في الأوديسة بالمرأة الوفية المخلصة، ولكنه أعطاها سمات أخرى؛ فهي نموذج للمرأة الذكية الماهرة في الخداع استطاعت أن تخدع جميع الرجال الخاطبين؛ إذ اقترحت عليهم مسابقة في الرماية، وافترضت أنها ستتزوج أفضلهم في هذه المسابقة من أجل تدبير خديعة للتخلُّص منهم[135]، وفي أثناء ذلك أتى أوديسيوس وقتل جميع الخاطبين[136].

---

(131) Audrey Wen: Op. Cit. p. 57.

(١٣٢) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثامنة عشر، صـ٤٤٧.

(١٣٣) انظر: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية والعشرون، صـ٥٧٠.

(١٣٤) المصدر نفسه: الأنشودة التاسعة عشر، صـ٤٦١.

(135) Hans Van Wees: The invention of Female mind "property and Gender Ideology in Archaic Greece", An essay in conference of women and property, University College, London, 2005, p.3.

(136) Audrey Wen: Op. Cit. p. 35.

وصورها هوميروس أيضًا كنموذج للمرأة الشجاعة التي لا تُظهِرُ أيَّ ضعفٍ أنثوِيٍّ في حُبها المستمر(١٣٧)، فعلى الرُّغم من أنها تخشى قسوة الخُطَّاب وسلوكهم البشع ولكنها تثق في نفسها ويبعث حضورها الرهبة لديهم، فهي إذن ليست مجردَ ضحيةٍ أو فريسةً لظروفٍ معينة كما هو الحال في الموروث الملحمي(١٣٨).

ورغم هذه الصورة الوفية للمرأة التي سادت الأوديسة إلا أن هوميروس أشار في الملحمة نفسها إلى أُنموذجٍ مُتدَنٍ للمرأة كليتيمنسترا Clytemnestra(زوجة أجاممنون)؛ إذ صورها هوميروس بالمرأة المخادعة، والخائنة، وسيئة السُمعة(١٣٩)؛ ففي غياب زوجها اتخذت من ابن عمها أيجيسثوس عشيقًا لها، وقد قتل العشيقان أجاممنون زوجها، فلم تكن وفية لزوجها بل كانت آثمة خائنة(١٤٠)، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الأوديسة وكثرت الإشارات إليها هي صورة المرأة الوفية، وبيان مدى إخلاصها وقوة تأثيرها، فهي صورةٍ مُقدّرةٍ لذاتها.

وبينما تُمثِّل هيلين أُنموذجًا للفجور والفسق في الإلياذة، نجدها في الأوديسة تظهر كزوجة مخلصة وفية تُقدِّس زوجها الملك مينيلاؤس، وتعيش في قصره منشغلة بالواجبات المنزلية(١٤١)، وعندما تُفكِّر في الماضي يكون ذلك لتبتهج بعودتها إلى المنزل وهروبها من طروادة، وندمها على تركها لبيتها وزوجها، وهي صورة مختلفة –في الأوديسة– تمامًا عن صورة هيلين عاشقة باريس، وخائنة زوجها في الإلياذة(١٤٢).

مما سبق يُسْتَنتج أن اعتقاد هوميروس عن المرأة في الإلياذة يختلف عنه في الأوديسة؛ إذ إن الصورة العامة للمرأة في الأوديسة كانت أكثر احترامًا وتقديسًا لما كانت عليه في الإلياذة، ويُمكن القولُ بأنَّ صورة المرأة في الإلياذة هي صورةٌ مجسدةٌ لفكرة الشرِّ ذاتها، أما في الأوديسة فهي صورةٌ مجسدةٌ لفكرةِ الخيرِ والوفاءِ.

---

(137) F.A. Wright : Op. Cit. p. 10.

(١٣٨) أحمد عتمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًّا وعالميًّا، صـ٥٥.

(139) Audrey Wen: Op. Cit. p. 46. See also: F.A. Wright: Op. Cit. p. 12.

(١٤٠) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، صـ١٢٢، صـ١٢٣. وأيضًا: بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج١، صـ٤٨، صـ٤٩، مادة(أجاممنون).

(١٤١) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الرابعة، صـ١٣٦، صـ١٣٧. وأيضًا: المصدر نفسه: الأنشودة الخامسة عشر، صـ٣٦٨.

(142) F.A. Wright: Op. Cit. p. 11.

خامسًا- انفعال الغضب:

إنَّ أول كلمة في ملحمة الإلياذة باليونانية هي كلمة "μῆνιν" ومعناها "غضب"[١٤٣]، وكأن هوميروس يقول إن ما يلي هو قصة عن الغضب وما يصنعه بالإنسان؛ فالغضب هو العاطفة السائدة في الإلياذة، وهذا ما يظهر من خلال هذه الملحمة[١٤٤]؛ إذ قال هوميروس في المشهد الافتتاحي في الإلياذة:

" غنِّ لي يا ربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التي ألحقت بالآخيين مآسٍ تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس) بأرواح الكثير من المقاتلين والبواسل، في حين
جعلت من أجسادهم لُقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح،
وهكذا تحققت مشيئة زيوس. نحن ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين أجاممنون
ملك الرجال(ابن أتريوس) وأخيليوس شبيه الآلهة"[١٤٥].

ويعرض هوميروس السبب الرئيس لغضب أخيليوس منذ مطلع الملحمة، وهو ذلك الخلاف الذي نشب بينه وبين أجاممنون المتعلق بإعادة سبية أجاممنون إلى والدها؛ فرفض أجاممنون إعادة السبية خريسئيس إلى والدها، ونهر والدها (كاهن معبد أبوللو) الذي بدوره بثَّ همَّهُ إلى أبوللو ورجاه أن ينتقم من أجاممنون[١٤٦]؛ فسلَّط أبوللو غضبه على اليونانيين، ونشر الطاعون بينهم تسعة أيام بلياليها، ثم تحت ضغط أخيليوس والشيخ الحكيم نيستور وافق أجاممنون على إعادة السبية بشرط أن يعطيه اليونانيون بديلًا عن هذه السببية ومساوية لها في الجمال، وفي كل شيء[١٤٧]، وإن لم يفعلوا فإنه سيأخذ سِبيةَ أخيليوس ولو بالقوة، وهنا استشاط أخيليوس غضبًا ملأ قلبه، وبالفعل أخذ أجاممنون سِبيةَ أخيليوس واستولى عليها[١٤٨].

---

(١٤٣) عبد المعطي شعراوي: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، صـ١٧.
(١٤٤) باري بي باول: هوميروس، صـ١٤٢.
(١٤٥) هوميروس: الإلياذة، ك١، ف ٥، صـ١١٩.
(١٤٦) المصدر نفسه: ك١، ف١٠، ف ١٥ : ف ٢٠، صـ ١١٩، صـ١٢٠. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١، ف٤٥: ف٧٠، صـ١٢١، صـ١٢٢.
(١٤٧) المصدر نفسه: ك١، ف١٢٠، صـ١٢٤.
(١٤٨) المصدر نفسه: ك١، ف ٣٢٥ : ف ٣٤٠، صـ ١٣٢.

وهنا يوضح هوميروس أن غضب أخيليوس هو نقطة تحول في الإلياذة؛ إذ إنَّ الغضب الذي تمكَّن من أخيليوس وملأ قلبه جعله يترك المعركة؛ وهذا الأمر جعل الطرواديين يصبون سهامهم القاتلة على الآخيين، وعلى الرُّغم من التوسلات الإلهية من الإلهتين أثينا وهيرا بمحاولة كبح جماح الغضب، والعودة إلى المعركة إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل[١٤٩]، وكذلك التوسلات البشرية؛ إذ ذهب إليه أوديسيوس لإقناعه بالعودة للقتال وإبلاغه بعروض أجاممنون الباهظة، ولكن الغضب ملأ قلب أخيليوس، وباءت جميع المحاولات بالفشل[١٥٠].

ومما سبق يصور لنا هوميروس الغضب على أنه أمر مُهين يكسر روح الإنسان، وإذا تمكَّن من الروح، فمن الصعب السيطرة عليه مهما كانت تلك المغريات، فهو انفعال يُسمم القلب والروح، كما أكد هوميروس أن كظم الغيظ تجاه الغضب له حدود معينة، فإذا زاد هذا الانفعال عن حده نتج عنه ردودُ أفعالٍ لا يُحمد عقباها؛ فليس من السهل أنْ يتخلى الإنسانُ عن حِدَّةِ غضبهِ الشديد.

ويعطي لنا هوميروس صورة أُخرى للغضب كونه الرغبة في الانتقام، فعندما قَتَل هيكتور باتروكلوس (صديق أخيليوس) لم يهدأ غضب أخيليوس مطلقًا إلا عندما انتقم من هيكتور قاتل صديق روحه، وقال أخيليوس (عندما سقط هيكتور على التراب وقتله أخيليوس):

" أي هكتور، عندما كنت تُجرِّد باتروكلوس من أسلحته
حسبت أنك ستظل آمنا ولم تكن تخشاني، ولكنني كنت بعيدًا
أيها الأحمق، ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة
تركته هناك، وأنا الأقدر على الانتقام"[١٥١].

ولكن على الرغم من أنَّ هوميروس قد ركز في ملحمة الإلياذة على انفعال الغضب وما يتبعه من انتقام إلا أن تلك الملحمة تضمنت مشاهد مؤثرة للغاية من التعاطف والشفقة؛ فعلى الرغم من سرد هوميروس لغضب أخيليوس الشديد ضد أجاممنون، ثم ضد هيكتور إلا أنَّه اختار أن يختم هذه الملحمة الدموية بمشهد من الرحمة

---

[١٤٩]هوميروس: الإلياذة، ك٩، ف ٢٥٥ ، ف ٢٦٠، صـ٣٤٧.
[١٥٠]المصدر نفسه: ك٩، ف ٤٠٤، ف٤١٠، صـ٣٥٣.
[١٥١]المصدر نفسه: ك٢٢، ف ٣٣٥، صـ٧١٨.

والشفقة، والاحترام والتفاهم المتبادل[١٥٢]، وذلك عن طريق عودة جُثة هيكتور لوالدها وعدم التمثيل بها، وهنا يريد هوميروس أن يوضح أنه إذا غضب المرء غضبًا شديدًا؛ فلا بُدَّ من وضع حدٍّ لهذا الغضب، والتصرف برحمة وشفقة، ولكن نهاية القصيدة تُعلمنا كيفية إدارة تلك الانفعالات إلى حد ما على الأقل[١٥٣].

إنَّ عاطفة الشفقة التي تحدَّث عنها هوميروس كانت دائمًا ضرورية لمواجهة الرغبة في الانتقام التي يثيرها الغضب؛ فانفعال الغضب عنده يزعزع استقرار العلاقات، ولكن مشاعر التسامح مثل الشفقة لديها القدرة على تعافي المرء من غضبه؛ ولذلك اعتقد هوميروس أن عاطفة الشفقة لها دور كبير في احتواء الغضب[١٥٤]، وأتفقُ هنا مع هوميروس؛ إذ إنَّ الغضب انفعال شديد يؤدي أحيانًا إلى فقدان السيطرة على الذات، وهذا الفقدان يؤدي بدوره إلى خسائر اجتماعية ومادية وعلائقية، ولكن الإنسان الحقيقي من يمتلك الطريقة السليمة لإدارة الغضب عن طريق استبدال هذا الانفعال بمشاعر اللين، والتسامح، والشفقة قدر المستطاع.

ويستمر مفهوم الغضب كونه الرغبة في الانتقام في ملحمة الأوديسة، ويتمثَّل ذلك في مشهدين؛ المشهد الأول هو الذي يفتتح به هوميروس الأنشودة الأولى من الأوديسة؛ إذ تدور أحداثها حول غضب بوسايدون من البطل أوديسيوس بسبب أن أوديسيوس أصاب ابنه بوليفيموس Polyphemus بالعمى في عينه، وهذا أدى إلى غضب والده بوسايدون الذي قرر الانتقام من أوديسيوس بتشريده عن وطنه[١٥٥].

أما المشهد الثاني فيتمثل في غضب أوديسيوس الشديد من الخُطَّاب الذين غازلوا زوجته، واستقروا في بيته في أثناء غيابه دون خوف من الآلهة، وأهانوه إهانةً شديدةً ومتكررة وهو متنكر في زي متسوّلٍ، وهذا الغضب الشديد أدى في نهاية الأوديسة إلى

(152) Susanna Braund and Glenn W .Most: Op. Cit. p. 51.
(153) Ibid: p. 74.
(154) Karen Anne: Op. Cit. pp. 122-123.
(١٥٥) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الأولى، صـ٧٨ : صـ٨٠. وانظر أيضًا:
-Sebastiaan Van der: Poseidon's Anger in the Odyssey, "in Emotion and Narrative in Ancient literature and Beyond", Edited by: Mathieu D. debakker and others, Brill, 2022, p.108.

انتقام أوديسيوس من هؤلاء الخُطَّاب وقتلهم جميعًا(١٥٦)، وهكذا رأى هوميروس أن الغضب الحاد في حالة احتدامه لا يُمكن إشباعه إلا عن طريق العُنف والانتقام؛ فعلى الرغم من أن عدد الخاطبين يفوق أوديسيوس ومجموعته الصغيرة من أتباعه إلا أن أثينا حثت أوديسيوس على الانتقام والقتال بكل قوة(١٥٧).

ويرى هوميروس أيضًا أن الغضب من الممكن أن يثير ردود أفعال أكثر تنوعًا بين الأفراد، بما في ذلك الرغبة في إلحاق الألم العاطفي، أو العنف الجسدي، أو التهديد بشيءٍ ما، كما يؤدي الغضب أحيانًا إلى العِقاب الصارم من أجل أن يتحول الغضب والحزن إلى مشاعر اللذة والمتعة(١٥٨)، وهذا ما ذهب إليه هوميروس؛ إذ يُشبِّه قتل أوديسيوس للخاطبين بمتعة أسر الفريسة في أثناء الصيد، فَهُم أشبه بالأسماك التي أمسك بها الصيادون في عيون شِباكهم في البحر السنجابي(١٥٩)؛ ولذلك يُمكن القول بأن انفعال الغضب عند هوميروس يحتوي على مشاعر الألم واللذة معًا، تلك اللذة التي يشعر بها المرء من خلال الانتقام من مصدر الألم.

وقد أشار هوميروس إلى أنه مهما كان الغضبُ مُدمِّرًا وله آثاره السيئة بالنسبة إلى البشر إلا أن غضب الآلهة يفوق غضب البشر في دماره(١٦٠)؛ إذ إنَّ أي انتهاك يرتكبه المرء ضد الإله يؤدي إلى غضب الإله، ومن ثَمَّ إلى عواقب أكثر بؤسًا لا يُمكن تصورها، وهنا يلاحظ أن ملحمتي هوميروس –الإلياذة والأوديسة– تحملان رسالة مفادها أنه ينبغي للمرء تجنب انفعال الغضب لدى الآلهة عن طريق إثارتها وانتهاك أوامرها؛ فالإنسان الفاني ليس لديه القدرة على مواجهة غضب الآلهة الخالدة، ولكن يُمكن السيطرة على غضب الآلهة بطريقتين هما: تقديم القرابين والترانيم؛ لأنهما مظهران من مظاهر استرضاء الآلهة والتخفيف من غضبها(١٦١).

ومما سبق يُمكن أن استنتاج أن الموضوع المحوري لملحتي الإلياذة والأوديسة هو

---

(١٥٦) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الواحد والعشرون: صـ ٥٠٤. وأيضًا: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية والعشرون، صـ٥٢٤، صـ٥٢٥.

(157) Karen Anne: Op. Cit. p. 96.

(158) Ibid: p.79.

(١٥٩) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثانية والعشرون، صـ٥٣٩.

(١٦٠) هوميروس: الإلياذة، ك٥، ف١٨٠، صـ٢٣٦.

(١٦١) انظر المصدر نفسه: ك١، ف ٤٤٥، صـ١٣٧.

موضوع سيكولوجي عن طاقة الغضب، والآثار المترتبة عليه، وقد انتقل مفهوم هوميروس عن الغضب كونه رغبةً في الانتقام لخطأٍ ما لعدد من الفلاسفة اليونانيين؛ إذ تأثر أرسطو بمفهوم الغضب عند هوميروس، وهذا ما يذكره أرسطو صراحة في كتابه "الخطابة"(١٦٢)؛ إذ رأى أن الغضب هو الرغبة في الانتقام مصحوبة بالألم الناتج عن الإدراك المباشر لشيءٍ ضارٍ أو غير سارٍ، ومن الممكن أن يتبعه شيء من اللذة من قِبَل أنه يأمل أن ينتقم؛ لأنَّ المرء قد يتلذذ إذا ظن أنه وصل إلى ما تتوق إليه نفسه(١٦٣)، وهذا ما ذهب إليه هوميروس في مفهومه عن الغضب.

ويتوافق أيضًا مفهوم سينيكا عن الغضب مع مفهومه عند هوميروس؛ إذ تناول سينيكا في مؤلفه "عن الغضب" طبيعة الغضب وآثاره المدمرة؛ فالغضب عنده أيضًا هو الرغبة في الانتقام لخطأ ما(١٦٤)، وجنون مقتضب تعوزه السيطرة على النفس، ويتجاهل اللياقة، ويتغافل عن الروابط الشخصية والنية في تحقيق غاياته بفظاظة، ووقوف عن التروي العقلاني(١٦٥)، ولا يبتعد تعريفُ سينيكا عن التعريف الرواقي للغضب؛ فالرواقية تُعرِّف الغضب بأنه رغبة الانتقام لظلم ما، وهذا تعريف شائع عند الرواقيين(١٦٦)؛ لذا أرى أن هذه المفاهيم الثلاثة للغضب عند كلٍّ من أرسطو، وسينيكا، والرواقيين تتوافق بشكلٍ كبيرٍ مع مفهومه عند هوميروس.

سادسًا- الصداقة:

سَلَّط هوميروس كثيرًا من الضوء على الصداقة وقيمتها من خلال العلاقة بين أخيليوس وصديقه باتروكلوس؛ إذ كانت صداقتهما صداقة قوية، وعندما غضب أخيليوس

(١٦٢) أرسطو: الخطابة، ترجمة وتحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ١٣٨٠ ب، صـ٩١.

(١٦٣) المصدر نفسه: ف ١٣٧٨ ب، ص٨٢، صـ٨٣. وانظر أيضًا: أرسطو: كتاب النفس، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب: جورج شحاته قنواتي، تصدير ودراسة: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ف ٤٠٣ ظ، ٥، صـ٧.

(١٦٤) سينيكا: عن الغضب، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠، ك١، (٢-٣) b، صـ٥١.

(١٦٥) المصدر نفسه: ك١، (١-٢)، صـ٤٩.

(166) Cicero: On the Emotions "Tusculan Disputations 3 and 4", Translated and with Commentary by: Margaret Graver, The University of Chicago press, Chicago and London, 2002, B3, 11, p. 7. See also: Ibid: B4, 44, p. 54.

بسبب المرأة ذات النطاق الجميل "بريسئيس" التي أخذها أجاممنون رُغمًا عنه؛ ترك أخيليوس المعركة ورفض القتال مع الآخيين، وقرر أن يظل في مكانه في حين أنه يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة(١٦٧)، وعلى الرغم من عروض أجاممنون الكثيرة، والتوسلات أيضًا إلا أن أخيليوس رفض العودة إلى المعركة(١٦٨)، وهنا انتفض باتروكلوس –صديق أخيليوس الحميم– محاولًا التضحية بنفسه من أجل إنقاذ شرف أخيليوس وكرامته التي تلطخت بسبب رفضه مواصلة الحرب؛ إذ شعر باتروكلوس بأنه لابُدَّ من ملء فراغ صديقه الناجم من انسحابه وغيابه عن معركة الشرف والمجد، وهنا يصوِّرُ هوميروس الصداقة بأنها من الواجبات الأخلاقية التي لا ينبغي التقصير في أدائها، بل إن الصديق الحق من يقوم بالتضحية من أجل صديقه وإلا لما استحق أن يكون رجلًا أو بطلًا(١٦٩).

وعندما ذهب باتروكلوس إلى المعركة قُتل على يد هيكتور(١٧٠)؛ فذهب أنتيلوخوس Antilochus (ابن نيستور الحكيم) إلى أخيليوس وأخبره بمقتل صديقه باتروكلوس(١٧١)، وهنا يصور لنا هوميروس مشاعر أخيليوس نحو الصداقة؛ حيث ووقع هذا الخبر عليه كالصاعقة، وحزن حزنًا شديدًا، وأقسم أن يثأر له من هيكتور والطرواديين جميعًا؛ إذ قال أخيليوس عندما سمع خبر مقتل صديقه باتروكلوس:

"فحتى ذلك الحين لن ينزل من حلقي إلى جوفي طعام أو شراب؛ فرفيقي قد قُتل
ويرقد في خيمتي مطعونًا برمحٍ حادٍّ نافذٍ، وقدمه عند المدخل، ومن حوله
يلتف رفاقي باكيين، ولهذا فليس في قلبي شيء وليس في عقلي
تفكير إلا في القتل، والدماء، والعويل الحزين على الميت (باتروكلوس)" (١٧٢).

وهكذا تألم أخيليوس من موتِ صديقِهِ وحزن حزنًا شديدًا، وقرَّرَ الانتقام لصديقه الحبيب، وهنا يصوِّر لنا هوميروس معنى الوفاء وفاء الصديق لصديقه؛ فلولا موت

---

(١٦٧) هوميروس: الإلياذة: ك١، ف ٤٣٥، صـ١٣٦. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١، ف٤٩٥، صـ١٣٨.
(168) Hayley Rhodes Wittenberg: He whom I loved as dearly as my own life "An Analysis of the Relationship Between Achilles and Patroclus", An essay in A Journal of Student Research scientia et Humanitas, Middle te nnessee state University, spring, 2023, p. 52.
(١٦٩) أحمد عتمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، صـ٦٠.
(١٧٠) هوميروس: الإلياذة، ك١٦، ف ٨٢٠، ف ٨٢٥، ف ٨٣٠، صـ٥٧٦.
(١٧١) المصدر نفسه: ك١٨، ف٥، ف ١٠، ف ١٥، صـ٦١٣. وانظر أيضًا:
-Hayley Rhodes Wittenberg: Op. Cit. p. 53.
(١٧٢) هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف٢١٠، ف٢١٥، صـ٦٤٨.

باتروكلوس لما عاد أخيليوس مرة أخرى إلى الحرب، وهنا يكمنُ معنى الوفاء في الصداقة عند هوميروس(١٧٣).

ويرى هوميروس أيضًا أن الصداقة هي اتحاد بين شخصين في الحياة والموت؛ إذ أدرك أنتيلوخوس (الرسول) أفكار أخيليوس الانتحارية، وأمسكه بيده لمنعه من قتل نفسه، وهنا يرغبُ أخيليوس في الانضمام إلى صديقه المتوفى؛ فأخيليوس يحبُّ صديقَه بقدر ما يحبُّ حياته(١٧٤).

وعندما غلب النعاس على أخيليوس ظَهَرَ شبحُ صديقه الميت باتروكلوس، وذكَّر باتروكلوس أخيليوس بحياتهما المشتركة، وأعربَ عن رغبته في لم شمله مع صديقه بعد الموت أيضًا، وقالت روح باتروكلوس له:

"أي أخيليوس، الآن تغط في نومك بعد أن نسيتني
في حين لم تكن تغفل عني وأنا على قيد الحياة،.....،
أستحلفك أن تحقق لي إذا اقتنعت،
وألا تضع عظامي بعيدًا عن عظامك، أي أخيليوس،
لنكن معًا في نفس المكان مثلما ترعرعنا معًا في البيت نفسه،....،
ولكل هذا ينبغي أن يجمع وعاء واحد رماد بقايانا"(١٧٥).

ومن خلال النص السابق يصوِّر هوميروس الصداقة في خطاب باتروكلوس على أنها رفقة تستمر مدى الحياة، تبدأ في مرحلة الطفولة وتستمر حتى الموت، كما يصوِّر هوميروس فقدان الصديق لصديقه أشد ألمًا من فقدان الابن لوالده، أو فقدان الوالد لابنه؛ فقال أخيليوس:

"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرَّةٍ كنت أنت نفسك تضع
بحماس أمامي في خيمتي مآدبه حافلة بما لَذَّ وطاب،.....،
ولكن الآن ترقد مُضرجًا بالدماء ومطعونًا هنا وهناك في جسدك،....،
ليس هناك أسوأ من هذا الشرِّ الذي أعاني حتى لو

(173) Hayley Rhodes Wittenberg: Op. Cit. p. 50.
(١٧٤) هوميروس: الإلياذة، ك١٨، ف ٢٥، ف٣٠، ف٣٥، صـ٦١٤.
(١٧٥) المصدر نفسه: ك٢٣، ف ٦٥، ف ٩٥، صـ٧٣١، صـ ٧٣٢.

جاءني خبر وفاة أبي،...، أو خبر وفاة ابني الحبيب"[١٧٦].

وقد أقسم أخيليوس بألا يُقيم الطقوس الجنائزية لباتروكلوس إلا بعد قتل هيكتور[١٧٧]، وبالفعل قتل أخيليوس هيكتور[١٧٨] مع أن أخيليوس يعرف أن موته سيتبع لا محالة موت هذا القائد الطروادي؛ إذ كانت النبوءات قد تحدثت بذلك[١٧٩]، واستمرارًا لمعنى الوفاء في الصداقة يصوِّر هوميروس في الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة الألعاب الجنائزية على شرف موت باتروكلوس[١٨٠].

ومن خلال ما سبق يُمكن القول أن اعتقاد هوميروس عن الصداقة يتمثل في أنها:

١- شكل من أشكال الحب يقوم على التضحية.

٢- علاقة قوية حصرية مع شريك واحد، يُلبِّي معنى الوفاء.

٣- اتحاد بين شخصين يرغبان في الحياة والموت معًا.

٤- واجب أخلاقي لسد تقصير الصديق.

٥- رفقة تنطوي على مشاعر وعواطف قوية.

وبذلك أبدع هوميروس في تصوير القيمة الإنسانية للصداقة ومدى أهميتها لدى البشر؛ فمرةً تصنعُ المعجزة بعودة أخيليوس لميدان القتال، ومرةً أخرى تُظهِرُ مدى تأثيرها في المعنويات والسلوك البشري.

---

(١٧٦)هوميروس: الإلياذة ، ك١٩، ف ٣١٥: ف٣٣٥، صـ٦٥١، صـ٦٥٢.

(١٧٧)المصدر نفسه: ك١٨، ف٣٤٠، صـ٦٢٦.

(١٧٨) المصدر نفسه: ك٢٢، ف ٣٢٥، ف٣٣٠، صـ٧١٨.

(١٧٩) أحمد عتمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، صـ٣٢.

(١٨٠) هوميروس: الإلياذة، ك٢٣، ف ٥، ف ١٠، ف ١٥، صـ٧٢٩.

- **صداقة الإكسينيا:**

يقصد بالإكسينيا (ξενία) تلك العلاقة المتبادلة التي تنشأ بين الضيفِ والمَضيف، وهي كلمة يونانية تعني الضيافة والكرم، أو الصداقة التي تظهر بين الضيفِ والمَضيف(١٨١)، وهي نوع من الصداقة يُساعد في الحفاظ على العَلاقات الاجتماعية والسياسية بين أسرتين، أو بين كيانات سياسية مُعينة من خلال الصداقة الطويلة بين الضيفِ والمَضيف؛ فهو التزام يستلزم تبادل الضيافة وواجب رعاية بعضنا عندما يزور كل طرف بلد الآخر(١٨٢).

وقد تحدَّث هوميروس عن هذا النوع من الصداقة (ξενία)، أي صداقة الضيوف في الكتاب السادس من الإلياذة بين ديوميديس Diomedes زعيم اليونانيين، وجلاوكوس Glaucus حليف الطرواديين؛ ففي أثناء المعركة بين الطرواديين والآخيين يتواجه كل من ديوميديس وجلاوكوس، وعندما تقاربا صاح ديوميديس البارع صيحة الحرب قائلًا:" مَنْ أنت مِن بين البشر الفانيين أيها المحارب القوي؟"(١٨٣)، وهنا يتساءل ديوميديس عن هذا الرجل وعن هويته، هل هو من رجال الشهرة في الحرب لينال التعاسة والقتل، أم أنه إلهٌ خالدٌ من السماء؟(١٨٤)؛ فرد عليه جلاوكوس بأنه ابن هيبولوخوس، وهو الذي أرسله إلى طروادة؛ ليُشجِّع كافة المحاربين على الاستبسال والقتال، وألا يجلب العار لسلالة آبائه(١٨٥)، وعندئذ غرس ديوميديس رُمحه في الأرض وتعرَّف على جلاوكوس، فإذ به صديق لبيت الآباء من قديم الزمان، وقد أكرم أوينيوس الإلهي Oeneus(جد ديوميديس لوالدته وملك ليكيا) ذات مرة بيلليروفونتيس (ابن جلاوكوس) واستبقاه في قاعاته لمدة عشرين يومًا؛ وذلك بعدما أرسله الملك برويتوس إلى ليكيا، وأعطاه علامات مُميتة لعله

(181) Liddell and Scott's Greek English Lexicon, Oxford University press, New york, 2001, p. 470.(ξενία, ἡ). See also: Hayamus Tri-Lingual Lexicon "Ancient Greek – English – Arabic" ,Complied and translated by prof: Mohie Metawa and others, Revised by: prof. Alia Hanafi, National Center for translation, Cairo, 2017, p. 542. (ξενία, ἡ)
(182) Tsai, Hsiu-Chih: The stranger's friendship on the Battlefield "The performance of xenia in the Iliad", An essay in National Taiwan University, 2008, p. 192.
(١٨٣) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف١٢٠، ف١٢٥، صـ٢٦٩.
(١٨٤) المصدر نفسه: ك٦، ف١٢٠، ف١٢٥، صـ٢٦٩.
(١٨٥) المصدر نفسه: ك٦، ف٢٠٥، صـ٢٧٢.

يهلك؛ إذ إنَّ زوجة برويتوس اتهمت بيلليروفونتيس بأنه أراد أن ينال منها غصبًا على غير الحقيقة[١٨٦]، وفي أثناء ضيافة أوينيوس لبيلليروفونتيس تبادلا هدايا الصداقة الجميلة، فقدَّم أوينيوس لبيلليروفونتيس حزامًا لامعًا باللون القرمزي، وأعطاه بيلليروفونتيس كأسًا ذهبية ذات مقبضين، ولذلك قال ديوميديس لجلاوكوس أنه يجب أنْ يتجنبَ كلٌّ منا رُمحَ الآخرِ؛ ليعلم الجميع أننا أحباب ولِنُعلنَ صداقتَنا الموروثةَ منذُ أيامِ الآباء والأجداد[١٨٧]، وبعد الانتهاء من حديثهما المطوَّل نزلا من العربات وتصافحا وتعاهدا على الوفاء[١٨٨].

وهنا يُشير هوميروس إلى استعادة الصداقة العائلية وإعادة تأكيدها؛ فهي أكثر أهمية من قتل عدو في ساحة المعركة، فهناك علاقة قوية قديمة مبنية على الإكسينيا[١٨٩]، وهذا ما جعل البطلين أصدقاء ضيافة، ومن ثم لا يُمكنهما أن يتقاتلا؛ لذا يؤكد هوميروس من خلال هذا المشهد أنَّ هذا النوع من الصداقة هو نوع من الحماية والأمان، ويجب على كل اليونانيين الالتزام بالإكسينيا؛ إذ إن انتهاك سلوك الإكسينيا يؤدي حتمًا إلى مصائب تفوق الخيال والشخص الذي يتجاهل القانون الديني والثقافي للإكسينيا لن يفلت بسهولة من عقاب الآلهة والرجال معًا[١٩٠]، وظهر هذا عند انتهاك باريس للإكسينيا؛ فكان انتهاكه نذير شؤم أدى إلى حرب بين المُدن تسبَّبتْ في كثير من الدمار؛ إذ قام باريس بإغواء زوجة مضيفه هيلين، وأخرجها من قصر مينيلاؤس، وهذا انتهاك للقانون الديني والثقافي اليوناني للإكسينيا[١٩١].

وظهرت الإكسينيا في الأوديسة أيضًا كإحدى الموضوعات التي فحصها هوميروس؛ إذ إنه فحص هذا النوع من الصداقة (صداقة الضيوف) التي يؤديها مضيفون مختلفون عندما يسافر أوديسيوس إلى أُسر مختلفة خلال رحلته الطويلة إلى المنزل، وأيضًا عندما غادر ابنه تيليماخوس إيثاكا لتعقُّب المزيد من الأخبار عن والده[١٩٢].

وبذلك جعل هوميروس الإكسينيا قاعدةً مشتركةً ورمزًا ثقافيًّا يونانيًّا، كونها

---

(١٨٦) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف١٦٠، ف١٦٥، ف١٧٠، صـ٢٧٠، صـ٢٧١.
(١٨٧) المصدر نفسه: ك ٦، ف ٢١٥:ف٢٣٠، صـ٢٧٢، صـ٢٧٣.
(١٨٨) المصدر نفسه: ك٦، ف ٢٣٥، صـ٢٧٣.
(189) Tsai, Hsiu–Chih: Op. Cit. p. 208.
(190) Ibid: p. 209.
(191) Ibid: p. 210.
(192) Ibid: p. 193.

المؤسسة الرئيسة لتعزيز العلاقات بين الأُسر وبين المدن في عالم الإلياذة والأوديسة؛ لذا فإن الإكسينيا عند هوميروس تُجسِّد في حد ذاتها المواجهات المحتملة بين العناصر غير المتجانسة على كل المستويات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، وكذلك النفسية؛ فعن طريق الإكسينيا يُصبحُ لدى الغريبِ أرضٌ أجنبيةٌ وبديلٌ فعَّالٌ لأقربائه، وحامٍ، وحليفٌ، وملجأٌ يُعتمَدُ عليه، وهذا النوع من الصداقة ستستفيد منها العَلاقات اليونانية؛ لتقوية صداقاتها مع العائلات من مختلف المدن، ومن ثَمَّ توحيد العَلاقات بين المدن وتحالفاتهم.

وهكذا كان اعتقاد هوميروس عن قيمة الصداقة يكمن في كونها شكلًا من أشكال الحُب، والوفاء، والتضحية، وكذلك أكد بمفهومه عن الإكسينيا أنه مهما كانت الاختلافات والصراعات بين الثقافات فإن لقاءَ الثقافات المختلفة، وقبولَ الآخر، وإعادةَ دمجِهِ هو أمرٌ مُهم وحاسمٌ للعَلاقات بين الأفراد والأُسَر.

الخاتمــة:

يُمكن إجمال أهم نتائج البحث، على النحو الآتي:

أولًا– وضَّحَتِ الدراسةُ أنَّ اعتقادَ هوميروس عن الألوهية لم يكن اعتقادًا خُرافيًّا، بل ظِلًا للحقيقة السائدة في المجتمع اليونانيّ آنذاك؛ إذ صوَّر هوميروس الآلهة في صورٍ بشريةٍ مجسمةٍ إلا أن هناك سائلًا ما يجري في عروقهم يكفل لهم الخلود، ورغم أن الآلهة في الإلياذة والأوديسة تظهر بالوظائف والاتجاهات نفسها إلا أن هوميروس كان أكثر احترامًا للآلهة في الأوديسة؛ إذ كانت الأوديسة ملحمة إنسانية تُركِّز على الجانب الإنساني، وربما كان هذا يُمثِّل تطورًا لاعتقادات معينة لم تكن تُمثِّل له أهمية وقت كتابة الإلياذة.

ثانيًا– لم تكن العَلاقة بين الإنسان والآلهة عند هوميروس عَلاقة أخلاقية تقوم على الفضائل، وإنما كانت عَلاقة طقسية لا تعتمد على احترام الإنسان للإله بقدر ما تعتمد على ما يقدمه الإنسان من طقوس وترانيم يُمكنها أن تُرضِي الإله.

ثالثًا– إن اعتقاد هوميروس عن أنسنةِ الآلهة قريبٌ إلى حدٍّ ما من تصور الشرقيين القدماء عن الآلهة؛ إذ يصور المصريون القدماء آلهتهم على شكل البشر؛ فهم يفرحون، ويتزوجون، ويتألمون، ويأكلون،...إلخ، ولكن رغم تأثر هوميروس بالنزعة الأسطورية الثيولوجية الشرقية إلا أنه ينبغي ألا نُقلل من شأن إعادة التشكيل المبتكرة من قبل هوميروس.

رابعًا– أعطى هوميروس سُلطة كبيرة واستثنائية للقدر، إذ رأى أنه السلطة الحاكمة التي يجب على الآلهة والبشر أن تخضع لها، كما أن فكرة القدر عنده تشير إلى فكرة احترام النظام الكوني، بمعنى أن الكونَ بأسره قائمٌ على نظامٍ متكاملٍ وينظِّمُهُ قانون واحد، وهذا القانون يُنظِّم البشر والآلهة على السواء، ولا يُمكن للآلهة أن يخرقوا هذا النظام بشكلٍ مُطلقٍ، لأنهم خاضعون لهذه القوانين أيضًا، وأن أيَّة انتهاكات لهذا النظام الكوني ستواجه بحزم من ريات القَدَر.

خامسًا– بيَّن هوميروس في الإلياذة والأوديسة أن الموت لم يكن أبدًا دعوة للسلام، أو تحرر من الآلام، بل هو شرٌّ عظيمُ، ومصير أسود منبوذ، وقد انتقل تصوره المشئوم عن الموت إلى تصوره عن العالم الآخر؛ إذ تصور هاديس (العالم الآخر) بأنه مكان مُظلم

وكئيب، ولا يسر القلب أو العين، ولا يعرف المرح والسعادة إليه طريقًا، ولم يكن مفهوم هوميروس عن الموت دعوة إلى الجبن وتجنب ملاقاته؛ إذ يدعو دائمًا في ملحمتيه إلى الشجاعة في القتال والموت في ساحات المعركة، فالموت هو النهاية الحقيقية، ومن الأفضلِ أن يموت الإنسانُ بطلًا على أن يعيش جبانًا.

سادسًا– اختلف اعتقاد هوميروس عن المرأة في الإلياذة عنه في الأوديسة؛ حيث صوَّر هوميروس المرأة في الإلياذة بصورةٍ متدنيةٍ، وأعطى لها صفة الشيئية، وقد انتقلت هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلى الفكر الفلسفي اليوناني؛ إذ تأثر بها أفلاطون وأرسطو؛ فأعطا للمرأة صفة الشيئية، وأنها تفتقر إلى الفضائل الأخلاقية والفكرية، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الأوديسة هي صورة المرأة القوية، والوفية، والمخلصة؛ ولذا يُمكن القول بأن صورة المرأة في الإلياذة هي صورة مجسدة لفكرة الشر ذاتها، أما في الأوديسة هي صورة مجسدة لفكرة الخير.

سابعًا– إن الموضوع المحوري لملحمتي الإلياذة والأوديسة هو موضوع سيكولوجي عن انفعال الغضب، والآثار المترتبة عليه، وقد انتقل الاعتقاد الهوميري عن الغضب إلى الفكر الفلسفي اليوناني عند كلٍّ من أرسطو، وسينيكا، والرواقيين؛ فرأوا في مؤلفاتهم المختلفة أن الغضب هو الرغبة في الانتقام لخطأ ما، وهذا نفسه يتوافق مع اعتقاد هوميروس عن الغضب.

ثامنًا– أعطى هوميروس قيمة كبيرة للصداقة، وبيَّن أهميتها لدى البشر باعتبارها شكلًا من أشكال الحب، والوفاء، والتضحية، وأشار هوميروس أيضًا إلى نوع آخر من الصداقة وهو "الإكسينيا" كونها رمزٌ ثقافيٌّ يونانيٌّ الغرض منه تعزيز العلاقات بين الأُسر وبين المدن المختلفة، ومهما كانت الاختلافات والصراعات بين الثقافات فإن الإكسينيا تُساعد على لقاء الثقافات وقبول الآخر وإعادة دمجه.

وأخيرًا بعد مناقشة عدد من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس التي آمن بها في الإلياذة والأوديسة يُمكن أن يتبين لنا أن الإلياذة والأوديسة ليستا عملين أدبيّيْن فحسب، بل كانتا تمهيدًا أصيلًا لنشأة الفكر الفلسفيّ عند اليونان؛ فالأساطير العظيمة التي تحملها الملحمتان السابقتان ليست أوهامًا، بل هو منطوق النفس الإنسانية آنذاك، وما الأساطيرُ

إلا الإدراكُ الرمزيُّ لتلك الحقائق، وما قَدّمتُهُ في هذه الدراسة ما هي إلا محاولة للاقتراب من اعتقادات هوميروس الثيولوجية وفلسفته عن الحياة التي أصبح لها صدى كبيرٌ عند فلاسفة اليونان.

قائمـة المصادر والمراجـع

أولًا- المصادر:

(أ)- المصادر المترجمة إلى العربية:

١- **أرسطو**: الخطابة، ترجمة وتحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.

٢- ـــــــ: كتاب النفس، ترجمة: د. أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب: جورج شحاته قنواتي، تصدير ودراسة: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

٣- **أفلاطون**: محاورة الجمهورية، دراسة وترجمة: د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

٤- **سينيكا**: عن الغضب، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠.

٥- **هوميروس**: الإلياذة، ترجمة: د. أحمد عتمان، د. لطفي عبد الوهاب، د. منيرة كروان، وآخرون، تحرير وتقديم ومراجعة: د. أحمد عتمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨.

٦- ـــــــ: الأوديسة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠٢١.

٧- **هيرودوت**: الكتاب الثاني "عن مصر"، ترجمة عن اليونانية : د. محمد صقر خفاجة، تقديم: د. أحمد بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧.

(ب)- المصادر الأجنبية:

1- Cicero: On the Emotions "Tusculan Disputations 3 and 4", Translated and with commentary by: Margaret Graver, the University of Chicago press, Chicago and London, 2002.

ثانيًا- المراجـع:

(أ)- المراجع العربية والمترجمة إليها:

١- أ.أ. **نيهارت**: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمادي،

الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٤.

٢- **أحمد عتمان:** الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًّا وعالميًّا، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧.

٣- **باري بي باول:** هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مراجعة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩.

٤- **برتراندرسل:** حكمة الغرب، ج١، ترجمة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣.

٥- **توماس كارلايل:** الأبطال، ترجمة: د. محمد السباعي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر.

٦- **جاك شورون:** الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤.

٧- **جفري بارندر:** المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، ١٩٩٣.

٨- **جون ريتشارد:** الديانة اليونانية، ترجمة: وفاء طقوز، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان- الرومان- أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، ترجمة: أسامة منزلجي، نيفين أديب وآخرون، تحرير: فراس السواح، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.

٩- **حربي عباس عطيتو:** الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

١٠- **س.م. بورا:** التجربة اليونانية، ترجمة: د. أحمد سلامة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

١١- **شرف الدين عبد الحميد:** المقدمات الهيرمينوطيقية للفلسفة اليونانية، تصدير: د. مجدي السيد كيلاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٢٢.

١٢- **عبد المعطي شعراوي:** النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو

المصرية، القاهرة، ١٩٩٩.

١٣- **علي حسين قاسم:** جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة "دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين"، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد الخامس، ج١، ٢٠١٦.

١٤- **علي عبد الواحد وافي:** الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

١٥- **ف. جويراند:** الآلهة والأساطير اليونانية، ترجمة: أسامة منزلجي، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان – الرومان– أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.

١٦- **كارم محمود عبد العزيز:** أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

١٧- **مصطفى النشار:** المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.

١٨- **مصطفى النشار:** فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.

١٩- ـــــــــــــ: مدخل إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦.

٢٠- **منيرة كروان:** العالم الآخر في المسرح الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.

٢١- **يوسف كرم:** تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

(ب)- المراجـع الأجنبيـة:

1- **Amanda Turner**: Across the sea’s Broad Back "interpreting the Role of Homer's women in Odysseus", Quest for Ithaka, Boston , College, 2008.

2- **Arthurl Keith**: Fate and Freedom as viewed by Homer, An

essay in southern Illinois University, 1928.

3- **Audrey Wen**: Penelope, Queen of Ithaka " A study of female power and worth in the Homeric Society", Magister thesis in Department of Archaeology and Ancient History, Supervisor: Gullog Nord quist, University of Uppsala, 2009.
4- **Clifford H. Moore**: The Religious thought of the Greeks "From Homer to the triumph of Christianity", Harvard University press, London, 1916.
5- **E. Sarischoulis**: Fate, Divine will and Narrative concept in the Homeric Epics, An essay in open edition Journals, Vol(10), December, 2016.
6- **Emily Kearns**: The Gods in the Homeric epics, in the Cambridge companion to Homer, Edited by: Robert Fowler, Cambridge University press, 2006.
7- **F.A. Wright**: Feminism in Greek literature "from Homer to Aristotle", George Rout ledge & Sons, LTD, London, 1923.
8- **G.S. Kirk, J.E. Raven** : The pre-Socratic philosophers "A critical History with A selection of texts", Cambridge University press, 1962.
9- **Hans Van Wees**: The invention of female mind "women, property and Gender Ideology in Archaic Greece", An essay in conference of women and property, University College London, 2005.
10- **Hayley Rhodes Wittenberg**: He whom I loved as Dearly as my own life "An analysis of the Relationship Between Achilles and Patroclus", An essay in A journal of Students Research Scientia et Humanitas, Middle te nnessee state University, spring, 2023.
11- **James Duffy**: Homer's conception of Fate, An essay in the classical Journal, No. 8, Vol (42), May, 1947.
12- **Karen Anne**: Tales for All time "The Role of emotion in modern Reception on Homeric Epic", A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy, The Australian National University, 2021.
13- **Larry**. **Arnhart**: A sociobiological Defense of Aristotle’s sexual politics, An essay in international political science

Review, No. 4, Vol (4), 1994.

14- **Lewis Spence**: An introduction to Mythology, Moffat yard and Company, New York, 1921.

15- **Mingyi Sui**: The Concept of fate in homer's Epic "An interdisciplinary perspective", An essay in the 2023 5th international conference on literature art and Human development, Hangzhou Normal University, China, 2023.

16- **Naoko Yamagata**: Homeric Morality, A thesis submitted to the University of London, for the degree of Doctor of Philosophy, University College London, April, 1990.

17- **Robert Garland** : The Greek way of Death, Cornell University press, New York, 1985.

18- **Sebastiaan Van Der**: Poseidon's Anger in the odyssey, "in Emotions and Narrative in Ancient Literature and Beyond", Edited by: Mathieu D. debakker and others, Brill, 2022.

19- **Susanna Braund, Glenn W. Most**: Ancient Anger perspectives from Homer to Galen, Cambridge University press, New York, 2003

20- **Tsai**, **Hsiu – Chih**: The stranger's friendship on the Battlefield "The performance of Xenia in the Iliad", An essay in National Taiwan University, 2008.

21- **W. E. Gladstone** : Studies on Homer and Homeric Age, Oxford University press, Vol (1) of (3), 2014.

ثالثًا- القواميس والمعاجم والموسوعات:

(أ)- العربية والمترجمة إليها:

١- **بيير ديفانبيه وآخرون:** معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج١ (أ-ز)، ترجمة وتقديم: د. أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.

٢- **حسن نعمة:** موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

٣- **فراس السواح:** موسوعة تاريخ الأديان "الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.

(ب)- الأجنبيــة:

1- **Hayamus Tri-lingual Lexicon** "Ancient Greek-English–Arabic", Compiled and Translated by: prof Alia Hanafi, National Center for translation, Cairo, 2017.
2- **Liddell and Scott's** Greek – English Lexicon, Oxford University press, New York, 2001.
3- **New Larousse Encyclopedia of Mythology**, Introduction by: Robert Graves, Translated by: Richard Aldington and Delano Ames, revised by: a panel of editorial advisers from the Larousse mythologie Generated edited by: flexi Guiranst, the librairie Larousse Paris, 1st edition, 1987.